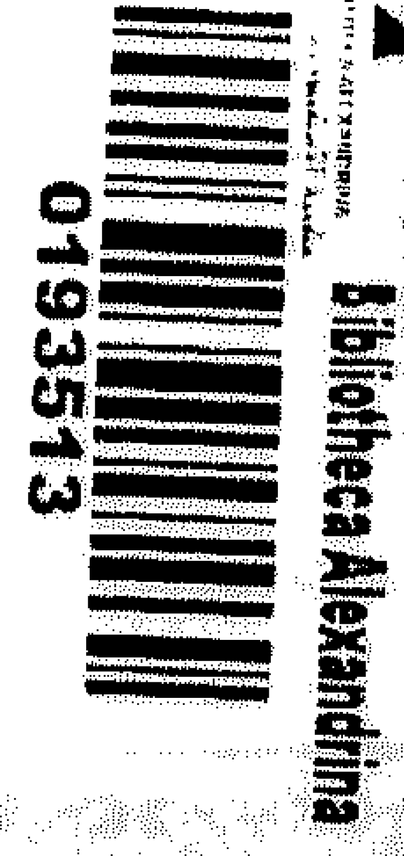
محمود حمدي الجريسي

الإسلام يتحدى المذاهب والأديان

تحقيق الشهيد
حسن البنا

تقديم الأستاذ
أحمد حسين



دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان المشهد الحسيني ت ٩٢٦١١٤٥

محمود حمدي الجريسي

الإسلام يتحدى المذاهب والأديان

تحقيق الشهيد
حسن البنا

تقديم الأستاذ
أحمد حسين

الناشر
دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان المشهد الحسيني ت ٩٢٦١١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

للأستاذ الكبير أحمد حسين

مؤلف هذا الكتاب

هو الأستاذ محمود حمدى الجريسى وهو زميل نضال منذ اليوم الأول أى منذ أكثر من أربعين سنة وعندما تفضل وشرفنى بأن أكتب له كلمة يقدم بها الكتاب وبعد أن عرفت محتويات الكتاب واليد الكريمة التى ساعدت على نشره فى حينه أدركت أن الله سبحانه وتعالى قد حقق أحد أمانى على يد أخى الأستاذ حمدى الجريسى .

ففى عدد مجلة المحاماة الصادر فى مطلع عام ١٩٧٦ مقدمة مرفعتى فى مقتل النقراشى باشا رئيس حكومة مصر عام ١٩٥٧ وعندما جاء أوان نظر القضية كان المغفور له الشيخ حسن البنا قد استشهد فاغتالته سلطات هذه الزمان وقد انتهزت فرصة مرافعتى عن أحد المتهمين فى قضية النقراشى كى أشيد بالمرحوم حسن البنا وأعلن على رؤوس الأشهاد أننى أمجده وسأظل وفياله معتنقا للرسالة التى كرس حياته من أجلها ألا وهى «نصرة الإسلام» هذا القول الذى أعلنته فى محكمة الجنايات عام ١٩٤٩ هو الذى بعثته مجلة المحاماة عام ١٩٧٦ .

ولم تمض أيام على صدور هذا العدد من المجلة وقراءتى لمقدمة مرافعتى فيه وإشادتى بالمرحوم حسن البنا حتى جاءنى الأخ حمدى الجريسى بكتابه

وراح يقص على قصته دون أن يعرف أنه يجسد هـــذه الصلة الروحية التى ربطتنى بالشهيد حسن البنا فالكتاب الذى بين يدى القارىء كتاب يتحدث عن مجد الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان من وجهة نظر مجموعة من المستشرقين من أجناس مختلفة منهم الإيطالى والإنجليزى والأمريكى من غير المسلمين .

وقد حدث عندما كان الأستاذ حمدى الجريسى عضواً مجاهداً فى مصر الفتاة وكان المناخ الذى يعيش فى ظله مناخاً إسلامياً فقد كان شعار مصر الفتاة يبدأ بكلمة « الله » وكنا نقول أن من لاخير فيه لدينه لاخير فيه لوطنه ولاخير فيه للناس ولاخير فيه حتى لنفسه .

وكانت أول خطبة ألقيتها فى محفل عام « الشبان المسلمون » « جهادنا الدينى وكيف يجب أن يكون » وفى هذا الإجتماع تقابلت لأول مرة مع الشهيد حسن البنا وقد تعددت لقاءاتنا بعد ذلك مرات عاملين على احقاق الحق وإبطال الباطل ونصرة الإسلام .

وفى هذا الجو عثر صاحبنا على كتاب إيطالى وتأثر به فراح يترجمه ويبعث بما كان يترجم أولا بأول إلى مجلة الإخوان المسلمين آن ذاك وأدركت حساسية حسن البنا ونورانيته ما فى هذه الرسائل التى تصله غير موقع عليها من إخلاص لله فبادر بنشرها وهو يضفى عليها من لمساته ما أضفى .

فعندما يبتعث الأستاذ حمدى الجريسى هذا الكتاب ويقدمه لأبناء الجيل الجديد فهو يقدم لأولاده وبناته أول ما يقدم الزاد من الكرامة والعزة التى سيعيشون عليها طوال حياتهم ثم سيورثونها لأبنائهم ثم هو يقدم

بعد ذلك لسائر أفراد الجيل نموذجا لبدء البعث الإسلامى فى مصر منذ أربعين سنة أو تزيد .

وبعد فشكراً شكراً لأخى حمدى الجريسى الذى أتاح لى فرصة أن أعبر عما أكنه له شخصيا من تقدير واحترام .

أحمد حسين



المجاهد الاسلامى

الأستاذ محمود حمدى الجريسى

هــذا الكتاب

فى الثلاثينات كنت طالبا بمعهد ليوناردو ديفنتشى الإيطالى ولقد عثرت فى مكتبة المعهد على كتاب باللغة الإيطالية ألفه أحد المستشرقين عن الإسلام، أعجبت به ورحت أترجم بعض فصوله .

هذا وقد وقعت فى يدى نسخه من مجلة الإخوان المسلمين التى كانت تصدرها الجماعة فى بدء تكوينها بالقاهرة وقد لفت نظرى أن معظم مقالاتها ممهورة باسم المغفور له الشهيد حسن البنا فأردت أن أساهم فى تحرير هذه المجلة بنشر بعض القطع التى أترجمها عن الكتاب المذكور وفعلا رحت أرسل بعض هذه المقالات إلى إدارة الجريدة بعنوان (الإسلام فى الغرب). وكان المغفور له حسن البنا يتناولها بالمراجعة والتهذيب قبل النشر وكنت أرسل بها عن طريق البريد دون أن التقى بأحد من هيئة التحرير أو أعضاء الجماعة وقد مرت الأسابيع والشهور وأنا أرسل بمقالاتى هذه بالبريد وفى أحد أعداد المجلة كتب الأستاذ المرشد رحمه الله كلمة داخل إطار فى آخر مقالى يطلب منى توضيح عنوانى الكامل ليتصل بى الصله الإسلامية الواجبة وفعلا توجهت إلى دار الإخوان المسلمين بسوق السلاح وكانت هناك محاضرة يلقيها المغفور له المرشد العام وانتظرت حتى انصرف الجميع وطلبت مقابلة المرشد وكنت فى ذلك الوقت نحيل الجسم ضئيل الوزن فلما دخلت عليه وعرفته نفسى نهض من على مكتبه واحتضننى وراح يقبلنى. وأحسست فى نفس اللحظة أنى بين زراعى والد كريم وأب رحيم ومن ذلك الوقت تعاهدا على العمل معا من أجل حياة أفضل لخدمة الإسلام والمسلمين. وفعلا أعطيت مجلة الإخوان المسلمين الجزء الأكبر من وقتى وكانت

فرصتى فى الإستمرار فى ترجمتى معظم فصول الكتاب وكانت هذه أولى تحركاتى الصحفية فى الثلاثينات .

غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به على الإيمان .

حمدى الجريسى

كلمة

إن ماللإسلام من مكانة سامية فى القلوب المنصفة من الغربيين وماله من إجلال وتقديس فى الغرب والعالم بأسره ما ينسيني متاعب الماضى ومشقة السنين الطوال التى قضيت فيها شبابى فى البحث والمناقشة والإطلاع والرحلات بقصد الوصول إلى حقيقة طالما ظننتها خيالا أن أتلمس مكانة الإسلام فى الأوساط الأوربية وماله من قداسة وتقدير فى النفوس التى لا تدين به ولسوف تتبين معى من خلال هذه الكلمات أن لديننا الإسلام عظمة لا يدرك كنهها ولا يبلغ حقيقتها إلا من أودع الله فى قلبه أشعة من نوره الفياض الذى ينير بجوهره العالم أجمع . وقد يتجلى الله تبارك وتعالى على بعض الأجانب الذين يؤمنون بالله سبحانه وتصدقون برسالة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ويتعرفون الإسلام حق معرفته بطريق البحث والإطلاع والعمل للوصول إلى الحقيقة فيشرح الله صدورهم ويجلى قلوبهم بحقائق الأمور فيلهمهم الصواب ويرشدهم إلى الحق بالحق حتى يتبين لهم الرشد من الغى فيكونوا بذلك عنصرا نافعا يشرح مبادىء الإسلام ويخدم الدعوة من فوق منابر الشرق والغرب هذا وقد يتجلى الله على الكثير من المنصفين الاجانب الذين أنقل عنهم فصلا فى هذا الكتاب عن الإسلام ودفاعه عن نفسه وتحديه لكل المذاهب والأديان التى يتقدم بها دعاة الباطل والله المستعان .

حمدى الجريسى

هكذا يقولون

شهد الأنام بفضله حتى العدى   والفضل ما شهدت به الاعداء

٭ ٭ ٭

١ — كلما قلبنا النظر فى القرآن تملكتنا الروعة والوجل لكننا سرعان ما نشعر نحوه بجاذبية تنتهى بنا حتما إلى الإكبار فهو بين الكتب المقدسة نموذج غال رفيع وسوف يحيا تأثيره فى النفوس فى جميع الأجيال والعصور حتى يتطور العالم إلى السمو والكرامة عندما يدين له ويعمل به .

جـــوته

٢ — الدستور الإسلامى قانوناً شاملا موحدا بين الجميع من الرأس المتوج إلى أبسط الأشخاص لأنه يقوم على حكمة أنتجتها أوسع العقول علما بهذه الحياة . . .

جيبون

٣ — هناك ظاهرة فريدة فى التاريخ المحمدى هى أنه ينفرد بإنشاء ثلاث مؤسسات عمرانية أمة وامبراطورية ودين وهو الأمى الذى لم يعرف القراءة والكتابة .

بودورث سميث

٤ — ليس فى الإسلام كهنوت ولا سلطة كنائيسية ولكنه يضع للحكومات دستورا يطابق روح الدين .

لواندر كودرد

٥ — من المسلم به أن محمد لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعليما مدرسيا

لكنه عرف منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة وإصالة الرأى فى كل ما يقول وما يعمل وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائما رجلا إجتماعيا وصديقا صدوقا ومخلصا ودوداً .

كارليك

٦ — القرآن دستورا اجتماعى مدنى تجارى حربى نضالى وهو فوق هذا كله قانونا سماويا عظيما

دافيز يورث

٧ — جميع حجج القرآن طبيعية ودالة على عناية الله بالبشر ورعايته لهم وتأمين مستقبلهم

وليم مويير

٨ — لابد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظام الإسلامية قبل نهاية هذا القرن ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر وكانت له الدكتاتورية على هذا العالم الحديث لينجح تماما فى حل جميع المشكلات العالمية وقاده الى السعادة والسلام

إرثر هاملتون

٩ — ليدرس الهندوس الإسلام كما ورسته فيستحدونه كما احترمته ولقد أصبحت مقتنعا بأن الإسلام لم يأخذ مكانته فى الوجود بحد السيف بل أنه أخذها بالبساطة وإنكار الذات والشجاعة التى اتصف بها النبى محمد القائد الأمين والزعيم المخلص

غاندى

١٠ — يجب أن نبحث عن دين أقوم من هذا الذى ندين له يجب أن يكون الدين الجديد دين أخوة ووحدة وإنصاف وقوة يربط البشر أجمع بعضه ببعض لتكن العزة لله وللمجاهدين الأحرار من البشر .

هتلر

١١ — إن أكبر كلمة تثير الحزن والأسى هى التى قادت العالم إلى حالته الراهنة (إنها كلمة الإلحاد).

ليتو لتشوى

١٢ — لم يقم الإسلام بالسيف ولم ينتشر بالعنف ولم ينشىء امبراطوريته بالاستبداد ولكنه قام وانتشر وساد وحكم العالم بالحجة والبرهان والدليل العقلى وأخيراً استعمل السيف

جون كندرى

أستاذ القانون المقارن بجامعة اكسفورد

« عظمة الإسلام »

إن الخسائر التى تعود علينا نحن الغربيين من وراء ما يرصد سنويا من الأموال الطائلة التى تخرج من ميزانية الغرب والتى تبلغ عشرات الملايين للانفاق على ما يسمونه دعاية دينية « التبشير » وما هذه الدعاية فى الغالب إلا لقلقلة الأديان وزعزعة العقول والأفكار عن مكين مبادئهم وعقائدهم الدينية وفى مقدمة هؤلاء المسلمين ولا ربح يعود علينا من وراء ذلك ولا نجاح بل العكس هو الصحيح .

وما نلاقيه من الخسران فى هذا المجال ما هو أشد هزيمة نصل إليها بأنفسنا وندفع ثمنها غاليا بأيدينا ، إن دول الغرب جميعا ترسل أموالها لمحاربة الإسلام وذلك جهد ضائع وسعى طائش حيث أنى أعتقد أعتقاد المتأكد أنه لافائدة لهذا مطلقا (والله متم نوره ولاكره الكافرون) . وسيأتى يوم أراه قريبا تعتنق فيه أوربا بأسرها الإسلام لأنه دين الخلاص . فخير لنا معشر الغربيين أن نبتعد عن محاربة دين الله القويم ونقصر دعايتنا الدينية والإجتماعية على تحرير أنفسنا والقرى التى لم تزل متخلفة عن الدين كله لأننا ندرك أن هناك جهات لم تزل بعيدة عن الله خالق الكون ومدبره ولم تزل تعبد الأصنام والأوثان والشمس والقمر والحيوان فمثل هذه البلاد لهى أحق بالعناية ورصد الأموال لتبصيرها بأمور الدين والخلق والقواعد الإنسانية وتعريفها بالخالق جلت قدرته وما يجب عليهم نحوه وفى ذلك الخير كل الخير لنا فى الحياة الدنيا .

نعم إن هذه المخلوقات البدائية لهى أحق بالعناية والبذل ورصد الأموال من مقاومة دين الله الإسلام هذا الدين الذى يدفع عن نفسه بنفسه فنراه ينتشر انتشارا عظيما بغير مبشرين من المسلمين ، فإذا كان هذا الدين ينشر

مبادئه ويرسل نوره ويبسط نفوذه بغير مبشراً ومرشد مسلم يرشد الناس إليه ويعرفهم إياه . أمثل هـذا الدين يستحق المقاومة والمعاندة ؟ كلا وهانحن نراه يزداد ويزدهر كل يوم إزديادا لم نلمسه فى أى دين آخر . والغريب أننا نرى هذا الانتشار وذلك الإزدياد اسيره سيرا حسيسا فى ضوء النور الذى أضاء الله به طريقه وحسبك أن تعلم أن جميع الأفراد والجماعات التى تطرق باب هذا الدين السمح لم تكن من ذوى العقول المهزوزه أو من الطبقات الجاهلة بل كل من يلجأ إلى دين الإسلام ويطرق بابه لهم من ذوى الافكار الناضجة والعقول الراجحة بل من قادة الفكر لدينا فى أوربا ومن الرءوس الكبيرة والنفوس السليمة الذين يعتمد عليهم العالم فى حل المشكلات ويلجأ إليهم فى نظر المعضلات ،

إن خسائرنا فادحة وأرباح الإسلام عظيمة فإذا قارنا بين خسائرنا وأرباحه لوجدنا أننا فى كل يوم وبطريقتنا هذه نفقد كثيراً من رجالنا العظماء الذين يربحهم الإسلام والمسلمون فى ثباتهم لايعلمون ذلك فوق الخسائر المادية التى تقدر بالملايين حتى أنه يخيل إلى بحكم متابعتى للنشرات الحكومية .

أستطيع أن أقرر بحق بأن خزائن دول الغرب تفتح على مصراعيها لتمويل هذا الجنود الدينى الذى لايجدى نفعا مطلقا ولايعود عليها بغير الخسران والدمار بل والخيبة والمرارة التى لا أرجوها لدول الغرب التى أنا منها وهى منى . . . هذا وأنى أعتقد بأنه إذا عنيت الحكومات الإسلامية بأمر دينها وأعطته العناية التى يستحقها وجيشت جيشا من رجال الدين وأرسلت بهم مبعوثين فى شتى بلاد العالم الغربى والشرقى للدعاية للإسلام لكان خيرا للمسلمين وللعالم بأسره فإن العالم متعطش لمثل هذا الدين ورأينا (الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) وإنى أقدر أن هناك فى العالم ثمانين فى المائة على الأقل يرحبون بهذا الدين ويتمنون الهداية بهديه لو وجدوا ما يرشدهم ،

إليه ويوجههم إلى تعاليمه وأن ما نراه فى كل يوم من إسلام الكثير من علماء الغرب وسادته ومفكريه ليدلنا على أن هناك خيراً كثيرا وأن زعيما روحيا من الغربيين قد أعلن إسلامه وأخذ على عاتقه أن يعمل جهد استطاعته لنشر هذا الدين الذى اعتنقه وما نسيت أبداً حادثة إسلام الكونت فرايزفيل الذى أعلن إسلامه من السماء وهو يطير بطائرته وتعاهد على رءوس الأشهاد برصد مبلغ نصف مليون جنيه استرلينى لنشر الدعاية للإسلام الذى هداه الله إليه وقد كون ثلاث جمعيات إسلامية فى جنوب أوربا .

كما أسلم الفيلسوف الكبير (لندرديننو) وكان إسلامه كما ذكر فى مذكراته الخاصة نتيجة اطلاع وبحث وعلم وقد أعلن إسلامه رسميا وأنشأ جريدة يومية كانت تعتبر من أوسع جرائد الغرب انتشارا ولقد أنشأ أيضا جمعيتين إسلاميتين فى ميلانو وفلورانسا ونبلى بإيطاليا وكان يصدر جريدته هذه خدمة للدين الإسلامى وكان يسمح لكل المسلمين أن ينشروا فيها آرائهم وأفكارهم الإسلامية .

هذا ما نشاهده بأنفسنا ونراه يسير سيرا حسيسا نحو الدعوة الإسلامية وعقيدة المسلمين فى ضوء القرآن الكريم وعلى هدية والذى تكفل الله بحفظه حيث يقول : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

فإذا كنا نرى هذا الانتشار يسير بلا رعاية من الدول الإسلامية فماذا يكون الحال لو تجول علماء المسلمين فى العالم الغربى والشرقى ليعرفوننا ماهو الإسلام ويشرحوا لنا أصوله وينشروا فى الغرب مبادئه المقدسة التى هى مبادىء الدين العام الخالد : فكثير من سكان العالم فى حاجة إلى هذا التعريف .

خصوصا أن هناك من أعداء الإسلام ودعاة الإباحية واللادينية من

يعمل جهد استطاعته فى تشويه هذا الدين وإظهاره فى أبشع صورة إرضاء لنفوسهم الخبيثة وإشباعا لشهواتهم اللعينة ومن الغريب المدهش أننا نرى رغم تضحياتهم الأموال التى يبعثرونها ذات اليمين تارة وذات الشمال أخرى لإرسال مبشرين ينتشرون فى مشارق الأرض ومغاربها يرتدون على أعقابهم خاسرين والمسلمون غنيهم وفقيرهم قويهم وضعيفهم يتمسكون بدينهم وكأنهم كتلة واحدة. شعارهم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهم لهذا يتمسكون بدينهم بحيث لا يمكن لمخلوق أن يغرر بعقولهم حتى إذا استطاع أحد المبشرين أن يبلغ بغيته واشترى أحد المسلمين بماله فلا يلبس هذا المسلم أن ينقلب مرة أخرى مؤمنا بالله مجاهدا فى سبيله (والله غفور رحيم) ولا يكتفى بذلك بل يصبح حربا عوانا على من غرر به وأدخل عليه الغفلة. وبهذا لا يمكن لكائن من كان أن يغرر بأحد المسلمين لأنى أعلم علم اليقين بأن المسلم يفضل أن يموت جوعا أو يقبر حيا من أن يتمسح أو يلحد أو يكون إباحيا تحت أى إغراء أو تأثير .

فيا أيها الغربيون لماذا لا تضموا صوتكم معى لنصرخ فى أذن حكوماتنا ناصحين لها بالكف عن محاربة هذا الدين . . . لماذا لا نكون جماعات منا ونعمل نشرات تدعوا فيها شعوبنا للاسلام وترشد حكوماتنا لتكف عن السير فى هذا الطريق طريق الظلام الذى يسيرون فيه بغير جدوى لماذا لا نوضح للمسئولين ما يترتب على هذه الأعمال فى الخاتمة ونرشدهم إلى التحول عن هذا الطريق المريب لتحفظ بذلك دعائم حيويتها وتحافظ على كرامتها وتوفر أموالها .

لماذا لا نظهر ما تكنه صدورنا ونجهر بما يخالج أحشاءنا لنرضى ضمائرنا ونؤدى ما يجب علينا نحو دين الإسلام ونقدم ما تتطلبه منا الوطنية الصادقة نحو قوميتنا كى لا نصل إلى الهزيمة بأنفسنا ولا شك فى أننا نشاهد اليوم طاووس الخراب مخيما فوق عروش بلادنا منذرا إيانا بأن يوم الدمار قريب

إذا لم نكف عن هذه الخزعبلات التى كانت نكبة العالم فى القرون الوسطى .

واليوم أشهد العالم أجمع بأنى قد أديت واجبى بالنصح المقرون بالحقيقة للابتعاد عن محاربة الإسلام . وبذلك قد أرضيت ضميرى حتى إذا مالقيت الله ألقاه على خير وجعلنى فى صفوف المجاهدين من المسلمين .

أركان الإسلام الخمسة والشيوعية

أركان الإسلام الخمسة هى : ـ

١ ـ شهادة أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله .

٢ ـ أداء الصلاة . ٣ ـ إيتاء الزكاة .

٤ ـ صوم رمضان .

٥ ـ حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

وسط ظلمات الجهل وفى عصر مائج مضطرب وفى دياجير الشرك والضلال انبعث من بطحاء مكة صوت الحق جهيرا مدويا يقول لا إله إلا الله شق الظلام صوت نبى قريش وسرعان ما حلق هذا الصوت فوق رمال الصحراء العربية وسرى مسرى الريح فى جوانب الكون لينشر الإيمان بعد التيه والعدل بعد الظلم وليمنح الشورى بعد تحكم الاستبداد وليعطى الحرية بعد أن حكم الطغيان ولتسود المساواة بعد أن تفرق الناس طبقات .

واليوم يجىء مذهب خطير هدام يريد بالإنسانية الرجعة إلى الوراء مذهب يقوض كل ما جاء به الإسلام وكل ما بشر به محمد ويهدم كل ماتعتز به الإنسانية من الأديان السماوية .

إن الإلحاد هو حجر الأساس فى المذهب الشيوعى فالشيوعية لا تؤمن بدين ولا تعترف بوجود الإله . وإذا كانت الأساليب التى يتبعها الشيوعيون إزاء الدين تتغير من آن لآخر فان العقيدة الشيوعية لا تتغير أبداً ذلك أن دستور الشيوعية كما ورد فى كتابات الشيوعيين وخطبهم ورسائلهم هو (ينبغى على الشيوعيين أن يعملوا بكل ما فى وسعهم من قوة وجهد الإنكار وجود الله عدو النظام الإجتماعى الشيوعى) .

فى عام ١٨٤٣ قال كارل ماركس (الدين مخدر الشعوب وواجبنا تخليصها من هذا المخدر) .

وفى عام ١٩٠٩ أشار لينين إلى قول ماركس قائلا (إن هذا القول المأثور عن ماركس هو حجر الأساس فى وجهه النظر المركسية كلها إزاء الدين . إن الماركسية تنظر دائماً إلى جميع الأديان الحديثة والكنائس وجميع المذاهب والهيئات الدينية بوصفها أدوات للبرجوازية الرجعية) .

وفى عام ١٩٢٧ تلقف استالين هذه الحملة الماركسيه اللينينية على الدين عندما صرح بقوله (إن العلم والدين متعارضان ولذلك فإن الدولة الشيوعية تتعارض والدين) .

وعندما مات استالين وقف العالم كله مذهولا يصغى إلى الزعماء السوفيت الجدد وهم يستنكرون سياسة ستالين ولكن شيئاً واحداً على الأقل لم يستطيعوا أن ينكروه على زعيمهم الراحل ألا وهو مواقفه من الدين .

وفى عام ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ أعلن نكيتا خروشيشيف سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى (أننا مازلنا ملحدين وسنبذل كل ما نستطيع لتحرير فئة من الشعب من سحر الافيون الدينى الذى مازال قائماً) ألا وهو الدين .

هذه الفئة المعينة من الشعب التى عناها خروشيشيف هى الجيل الحديث من شباب روسيا الذين لم يتمتعوا بحق ممارسة الشعائر الدينية التى تلقوها عن آبائهم .

إن من أشأم القوانين التى عرفتها البشرية ذلك القانون الذى صدر فى روسيا السوفيتية والذى تنص على .

ان تلقين الصبية والقاصرين أى مذهب دينى فى المدارس هو نوع من أنواع الإعتداء على حرية الضمير التى كفلها دستور الإتحاد السوفيتى).

مازال هذا القانون سارياً فى روسيا وقد قال راديو موسكو فى إذاعة موجهة إلى الشعب الروسى فى شهر يونيو عام ١٩٥٦ .

إن الموقف الوحيد الذى يمكن أن يتخذه المدرسون السوفيت والمدارس السوفيتية من الدين هو موقف العداء الذى لا تهاون فيه ... إن من يساهم فى بناء الشيوعية لابد أن يكون ملحداً مقتنعاً بالإلحاد والمفروض فى الشبيبة الشيوعية فى العالم كله أن تتجرد من كل نزعة دينية فقد ذكرت المجلة الشهرية السوفيتية التى تصدر باسم الشباب الشيوعى .

إذا آمن أحد الشباب الشيوعيين بالله أصبح عاجزاً عن القيام بواجباته. إن معنى ذلك إنه نسى واجباته كشاب شيوعى . ومهمة الشباب الشيوعى هى أن يبث الوعى ضد الدين وأن يقنع الشباب بأن الدين أمر تافه .

من هذا نرى أن الماركسية الشيوعية قائمة على أساس الإلحاد وأن الدولة تحرم الإيمان بالله وتوجب على الشيوعى أينما كان ينكر الله ورسله ، وأنبيائه والكتب السماوية كلها وإلا فجزاؤه الطرد من صفوف الشيوعيين والنفى إلى سيبريا ورفته من وظيفته التى يقتات منها ، ومن ثم

فإن الدولة لا تحرم أداء الشعائر الدينية فحسب بل تلقن الشباب الإلحاد وإنكار وجود الله سبحانه وتعالى .

« أداء الصلاة »

قال نبي الله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام (مروا أولادكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع واضربوهم عليها إذا كانوا بني عشر)

هذا هو الأساس الأول فى التربية الإسلامية وهذا هو ركن الإسلام الركين . فالصلاة هى الفاصل بين الإسلام والكفر وإن شئنا أن يستمر الإسلام على مكانته كان علينا أن نحفظ هذه القاعدة الأولى فى التربية الإسلامية وأن نأمر أبناءنا بالصلاة حتى يألفوها .

إن لكل فرض من فرائض العبادات الإسلامية مغزى اجتماعياً فالصلاة فى الإسلام قوة اجتماعية يصبح الرجل من نومه على نداء الله تعالى إلى صلاة الفجر ويستمر صداها عالقاً بنفسه حتى صحوة النهار فيصلى الظهر ومن بعده العصر ثم المغرب والعشاء قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) .

وصلاة الجماعة فرض يوم الجمعة وسنة فى غيرها فضلها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (صلاة الجماعة خير من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة) إن صلاة الجماعة هى توثيق للعلاقات الإجتماعية ومحو لفروق الطبقات .

إلا أن الشيوعيين لا يكتفون بتلقين الشباب إنكار وجود الله بل يشنون الحملات على أماكن العبادة إلى جانب حملاتهم على تقاليد الإسلام وشعائره ففى عام ١٩١٧ أى فى بداية الثورة البلشفية الحمراء كان عدد المساجد فى روسيا حوالى عشر آلاف مسجد أما اليوم فى ظل الشيوعية فإن عدد المساجد فى

الإتحاد السوفيتى لا تتجاوز مائتين وخمسين مسجداً كما أن عدد أئمة المسلمين وشيوخهم قد تناقص من ثمانية وعشرين ألفا إلى ثلثمائة أو أقل وأمرت الحكومة بإغلاق ثمانية آلاف مدرسة اسلامية بمقتضى مرسوم أصدرته تحت ستار فصل المدارس عن المساجد والكنائس .

كما قامت الحكومة السوفيتية بسحب جميع الكتب العربية المتداولة فى روسيا حتى تتم بلشفة المناطق الإسلامية فى الإتحاد السوفيتى بلشفة تبعد المسلمين عن دين الإسلام ولغة القرآن ولم تعد الشريعة الإسلامية فى روسيا معترفا بها وفى ذلك تقول دائرة المعارف السوفيتية .

لقد استؤصلت الآن شأفة الشريعة الإسلامية فى الإتحاد السوفيتى .

« إيتـــاء الزكاة »

تطرف الشيوعيون فأفسدوا وقالوا للفقـــير أنت مسروق والذى سرقك هو الغنى . فأغروا الفقير بالغنى حتى سلط على الغنى أحقاده وطمع فى أمواله :

وقد فات هؤلاء أن الإسلام قد عالج هذه الناحية عندما فرض نظام الزكاة التى يعتبر أحد الأعمدة الخمسه التى بنى عليها الإسلام والزكاة فى الإسلام أنواع كل نوع فيها محدد معلوم والإسلام قـــد جعل الزكاة حقا من حقوق الله حقا للفقير على الغنى يطالب بها ولى الأمر ويحكم على المسلم بالردة عن دينه إن أنكرها .

* * *

أما فى الشيوعية حيث تسيطر الدولة على إقتصاديات البلاد وحيث يكافأ الإنسان على قدر عمله وحيث تحدد الدولة للفرد ما يكسبه وتحدد له

ما يأكله وما يلبسه فالزكاة أمر مستحيل ، أن على كل فرد أن يعمل شابا كان أم شيخا رجلا أو امرأة ومن لا يعمل لا يتلقى أجرا أو زكاة أو صدقة لأن ذلك يتنافى والفكرة الأساسية عن العمل فى الشيوعية . فالزكاة لا تعطى للعاجزين عن العمل أو من لا يجدون عملا لأن ذلك نقيض المبدأ الشيوعى القائل (لكل بقدر عمله) .

صوم رمضان

الصوم يعطى للنفس سلطانا على الهوى فهو مع كونه يقوى الروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض ومع تربيته للضمير وروحانيته التى ترفع المؤمن من تراب الأرض إلى روحانية السماء يقوى العزيمة ويدرب الإنسان على السيطرة على أهوائه وشهواته .

والشيوعيون يعلمون حق العلم أنهم لا يستطيعون أن يسيطروا على عقيدة الفرد وما يؤمن به فى دخيلة نفسه ، ولكنهم يستطيعون أن يتحكموا فى سلوكه وتصرفاته ، من هنا كانت حملة الشيوعية على الشعائر الدينية عامة وعلى شعائر الإسلام التى منها (صوم رمضان) ذلك أن الصيام فى نظر الشيوعيين فريضة رجعية تؤذى صحة الإنسان وفى ذلك تقول صحيفة شيوعية تصدر بجمهورية تركستان السوفيتية .

(يعلق علماء المسلمين أهمية كبيرة على صيام رمضان الثلاثين المضنية ، ذلك الشهر التاسع من السنة العربية القمرية . هذه الأساطير القديمة لا تمت بصلة للواقع وكل ما فى الأمر أن الإسلام قد ورث هذا الصوم عن العرب الأقدمين . هذه العادة القديمة مضرة بالصحة . إنها عائق لإنتاج المزارع الجماعية وهى معطلة لمشروعاتنا وينبغى أن نعمل على استئصالها) .

تركمسكايا اسكر

٨ أبريل ١٩٥٧

وفى ٢٩ من سبتمبر عام ١٩٦٤ حملت إذاعة ألماتا بجمورية كازاخستان بجنوب شرقى آسيا حملة عنيفة علـى الاحتفال بعيد الأضحى فقالت: (إن شعائر الدين لن تموت من تلقاء نفسها بل لابد من تصفيتها والقضاء عليها).

الحــــج

فى الحج تقوية للضمير وانصراف للعبادة وفيه معان اجتماعية فاضلة هو تقوية للوحدة الإسلامية إذ يجمع وفود المسلمين فى بقعة واحدة وهو اثبات المساواة الاجتماعية المطلقة إذ يقف المسلمون جميعا بلباس واحد من نوع واحد أمام خالق الأكوان فتزول فوارق الجنس واللون والطبقة .

هذه هى حكمة الله سبحانه وتعالى فى الفريضة الروحية التى تعتبر الركن الخامس من أركان الإسلام هذه الفريضة الروحية الاجتماعية التى تتيح للمسلمين فرصة سنوية للاجتماع فى صعيد واحد .

ماذا فعل بها السوفيت : ؟

فى عام ١٩٤٥ وفى الأعوام من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٦ سمحت السلطات السوفيتية لعدد قليل من المسلمين الروس بالحج إلى مكة وراحت هــذه السلطات تستغل ذلك فى دعاية واسعة النطاق باعتباره دليلا على التسامح الدينى فى روسيا وحقيقة الأمر أن عدد من صرحت لهم السلطات السوفيتية بالسفر إلى مكة لعام ١٩٤٥ لم يتجاوز أربعين شخصا فى عام ١٩٥٣ كانوا ثمانية عشر شخصا وفى عام ١٩٥٤ كانوا ٢١ شخصا أما فى عام ١٩٥٥ فقد بلغ عددهم ٢٧ شخصا وفى عام ١٩٦٧ عقد وفد الحجاج الروس مؤتمرا صحفيا بالقاهرة وكان عددهم ١٥ شخصا صرح أثناءه رئيس الوفد بأن عدد الحجاج الروس كان ٢٠ شخصا استبعد منهم خمسا كما صرح بأن عدد المسلمين فى الاتحاد

السوفيتى . ٣٠مليون مسلم وهاتان الحقيقتان اللتان أعلنهما وفد الحجاج الروس فى غنى عن كل تعليق — فكيف يتأتى لو كانت الحكومة السوفيتية تعترف بالحرية الدينية — أن يكون عدد الحجاج ٢٠ حاجا فقط من بين ٣٠ مليون مسلم .

وإذا علمنا إن هذا العدد الضئيل من المسلمين الروس الذين صرحت لهم السلطات السوفيتية بالحج إلى مكة كانوا تحت حراسة مشددة طول الوقت لمراقبة تصرفاتهم وتصريحاتهم أدركنا أن الدافع لهم بالتصريح بالحج كان شيئا آخر غير التسامح الدينى من جانب الدولة الشيوعية الإلحادية .

وهناك حقيقة أخرى لها مغزاها ذلك أن هؤلاء المسلمين الذين صرحت لهم السلطات السوفيتية بالحج كانوا كلهم من المسنين الذين عرفوا الإسلام واعتنقوه أبا عن جد قبل الثورة البلشفية أما الشباب . أما الاجيال الجديدة من أبناء هؤلاء الشيوخ وأحفادهم فقد شبوا لايعرفون الله وبالتالى لا يعرفون الإسلام . شبوا فى ظل مذهب مادى الحادى فلا صلاة ولا زكاة ولا حج .

الشيوعية والدين

فى سبيل القضاء على جميع الشعائر الدينية الإسلامية واقتلاعها من أذهان المسلمين وقلوبهم فى روسيا لم تدخر الدولة السوفيتية أى جهد .

فى ١٣ أغسطس من عام ١٩٦٦ أذاع راديو موسكو الآتى . (يعمل فقهاء المسلمين على إبقاء سموم الدين فى عقول الناس المتأخرين وذلك بدعوتهم إلى مراعاة التقاليد والفروض الدينية عند دفن الموتى وزيارة القبور وإخراج الزكاة والدعوة إلى الصلاة . إن هؤلاء الذين يراعون هذه الفروض الإسلامية قوم رجعيون) .

وتقول دائرة المعارف السوفيته عن الإسلام .

(قام الإسلام دائما شأنه فى ذلك شأن غيره من الأديان — بدور رجعى — لأنه سلاح فى يد الطبقة الإستغلالية تضطهد به نفوس الكادحين. وفى البلاد الشرقيه التى تقع وراء الحدود السوفيتيه — فى تركيا والبلاد العربية واندونوسيا حيث الإسلام هو دين الدولة ـ مازال الإسلام أحد الأسلحة فى يد الرجعية المحلية .

لابد لنا من محاربة الدين : هذا هو لب المادية وبالتالى الماركسية ـ ألاان الماركسية تذهب أبعد من ذلك . إنها يقول ينبغى أن نعرف كيف نحارب الدين لينين عام ١٩٠٩

حديث من لننجراد

وهذة قصة حقيقية حدثت فعلا ، وهى حديثة العهد نسبيا وهى تهدم كل مايحاوله الشيوعيون من تبرئة الشيوعية من عداوة الدين :

وصاحب هذه القصة أستاذ من كبار أساتذة الطب ، مصرى تفخر به جامعاتنا ويفخر به عالم الطب وقد ذهب إلى روسيا لأمرين :

(ا) ليرى المعاهد الطبية التى يمكن أن يتدرب فيها طلبتنا المصريون .

(ب) ليلقي بعض المحاضرات عن نظرية اكتشفها فى عالم الطب : لها صداها ، ولها قيمتها ، وتقديرها .

وقد أقاموا له فى « لينجراد » حفل تكريم ، حضره اثنان وثلاثون من علماء الأكاديمية الطبية .

وأخذ الكثير منهم يبدى إعجابه بأستاذنا الطبيب : متحدثا عن المنهج

العلمى والطريقه المنهجية ، والدقة فى استخراج النتائج ، والوصول إلى الغايات ولكن ... ولكن « أسفنا » ـ كما قالوا ـ شديد ـ

ذلك بلغنا أنك متدين : وجرى الحوار الآتى : ـ

قال الطبيب ولما اسفتم لتدينى ؟

قالوا : لأنك تؤمن بالخرافة : ..

قال صاحبنا : ماهى الخرافة التى أؤمن بها ؟

قالوا : ماتسمونه : الله ، إنه خرافة لاوجود له ..

قال صاحبنا : إن عجبى أشد لسماع هذا الكلام من قمم العلم :

ذلك أن العلم يؤكد فى قوانينه وقواعده وجود الله فترابط الكون وتماسكه ، وجعل بعضه علة لبعض : وذلك فى بلايين بلايين الأشياء ، وإن كل ذلك يؤكد أن لامصادفة ، وإذا انعدمت المصادفة فلابد من القول بوجود الله :

قالوا : كل ذلك لاأساس له عندنا ..

قال صاحبنا : ماهو الأساس الذى تؤمنون به :

قالوا : إننا نؤمن بالإنسان ، فالإنسان حقيقه ، والغيبيات خرافة .

قال صاحبنا : أنا أيضا أؤمن بالإنسان ، انى أؤمن بالإنسان اتباعا لدينى ، وسيرا على مبادئه، ولقد كرم الاسلام الإنسان بمالم يكرمه مذهب قديم أو حديث ، ووصل به إلى أن جعله خليفة الله فى أرضه .

وترجم لهم صاحبنا قوله تعالى : وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة .

فالإنسان فى الإسلام مكرم ، وهو خليفة الله .

وهذه الخلافة مشروطة ، إنها تتضمن كشرط لابد منه :

الا يستعبد الإنسان الإنسان ، وأن يتحرر الإنسان من عبودية الإنسان. فكلاهما خليفة الله ، ثم سجود الملائكة للإنسان الذى ذكره القرآن الكريم، وما رأيكم فيه :

أليس هو تكريما أسمى مما يكون التكريم !

وبهت العلماء وقالوا : هذا الكلام من أين أتيت به ؟

قال صاحبنا : من القرآن

قالوا : أهو الكتاب الذى ألفه محمد .

قال صاحبنا : إن محمد الم يؤلف كتابا ، وما كان يدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن القرآن وحى من لدن الله ، علمه الله لرسوله ، ونحن نتبعه واستمر صاحبنا فى الحديث فقال : ولم يأت القرآن بشىء يتعارض مع العلم .

وفى القرآن آيات علمية لا يعرفها العرب ، وبعضها فسر فى الزمن الحديث. مثل قوله تعالى : —

« ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ... »

ونزول المطر يشرحه القرآن بأحدث نظرية اكتشفت فى السنوات الأخيرة، يقول الحق تعالى :

« وأرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .

إن صلة الرياح بالمطر أصبحت الآن معروفة ، ولم تصبح معروفة إلا فى هذه السنوات الأخيرة ...

وأراد صاحبنا أن يستمر فى الشرح والتوضيح ... ولكن انتفض رئيس الأكاديمية : وهب واقفا وقال منفعلا :

« مع احترامى لضيفنا العربى ، لابد أن أوقف هذا السيل من الكلام الفارغ ، وإنى أقول لكم بكل قوة :

إن كل ماقاله كلام فارغ . . . والنصر للشيوعية ، وإن ثلثى العالم الآن شيوعيون ، وسيصير الثلث الثالث شيوعيا إن قريبا وإن بعيدا .. لابد أن انهى هذه الجلسة ، وانهيت الجلسة » .

ولكن رئيس الأكاديمية يسير على منهج الشيوعية .

ومنهج الشيوعية فى العقيدة حددة « ماركس » و « لينين » فى كلمات : « لا إله ، والحياة مادة »

ماركس

« فالدين ، والأخلاق ، والقانون فى نظر « البروليتاريا » إلا آراء برجوازية ، ورسالة البروليتاريا هى القضاء على الدين والداعين إليه »

ماركس

(الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لاينفصل عنها)

لينين

بعد كل ذلك يمكننا جميعا أن نقول (الماركسية دعوة لادينية) .

والماركسى الذى يزعم أنه لايعارض الدين ـ كاذب ؟ والشيوعى الذى يثنى على الدين : منافق ؟ والماركسية نظرية مادية والمادة تنكر الأديان .

دين العزة والكرامة

قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم خيرا ولا نفعا والله هو السميع العليم هذا هو الحق الذى لا يقبل فيه الجدل . بل هو الحق الذى هو أحق أن يتبع .

وإذاً فلا غرابة اليوم إذا ما وجدت نفسى تصعد من عالم الماديات إلى عالم الروحانيات . . ولا عجب إن كنت اليوم أسمو بقلمى إلى القول بهذه الآيات البينات . . . ومالى لا أكتب عن الإسلام وهو الدين الذى يجب أن يسود ويحلق فوق العالمين وتخضع لعزته الهامات . بل مالى لا أعتبر نفسى واحداً من هؤلاء الجنود الذين باعوا الله وجاهدوا أنفسهم ووطدوا العزم على العمل والكفاح والتضحية فى سبيل الله بالنفس والنفيس .. ؟ ! !

شتان بين الحق والباطل .. مرحى بالحق الذى هو من عند الله والذى هو قاموس الحياة النافعة . ودستور المدنيات العالمية ومنهج الثقافة المثمرة وروح الحياة الزاخرة المملوءة بالسعادة والهناء والعدل والإنصاف ..

.. وخزيا للباطل الذى لا عماد له ولا أساس يقوم عليه لا أريد أن أستطرد طويلا فى هذا ولكنها صرخة من قلب أظلم حينا من الدهر وتخبط فى دياجير الظلمات الحالكة ردحا من الزمن . وانغمس فى شهوات الأنانية السخيفة وتصدع بما كان يملى عليه من تعاليم هى إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة . .

تلك هى تعاليم الدين البالية .. بل تلك هى تعاليم القساوسة الذين تدفع بهم الكنيسة إلى العبث بعقول الأبرياء .. والتلاعب بضمائر الضعفاء فيغررون بهم وما يعلنونه أمامهم من زخارف مصنوعة هى قشور وأضاليل .

ومن مظاهر محبوكة فى خيال الضالين المضللين . ولكن عبثا يحاولون وسحقا لما يريدون والله غالب على أمره ولو كره المجرمون .

بلنا أن نقارن ولو بعض المقارنه بين ديننا ودين الإسلام .. نعم دين الإسلام الذى هو فوق الاديان والذى سادها وتحداها يوما ما بتعاليمه القويمة وحكمته الغالية وسيادته المنصفة .. نعم شتان بين دين يدعو إلى الأخوة والوحدة والرابطة والألفة ، وبين دين آخر لا يعرف من هذه التعاليم شيء وما هو ببالغها .

أجل لقد نشأنا فى أحضان دين غير دين الإسلام وبقينا عليه مدة من الزمان وأخذ من حياتنا شطراً كبيراً حتى كاد أن يسيطر على تفكيرنا . ويستأثر بعقولنا . ويملك علينا مشاعرنا ويسوقنا إلى الهوة السحيقة التى تردى فى قرارها من تروى ..

ولكن الله . الله الذى خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى إلى لا أن يخرجنا من الظلمات إلى النور ويقودنا إلى سبيل الهداية والرشاد فأنار لنا السبيل وهدانا إلى أقوم طريق الا وهو طريق الإسلام دين العزة والكرامة والحق ذلك الدين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ألم يكن هو الإسلام الذى يرحب بمن يؤب إليه بعد محاربته أولم يكن هو الدين الذى يقول أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ؟؟

لم يوصد بابه فى وجه واحد من هؤلاء الذين يرجعون إلى صوابهم ويعودون إلى رشدهم ويؤمنون به فتكون لهم مكانتهم وعزتهم وسلطانهم .. هذه هى العزة وتلك هى العظمة التى تتضاءل بجانبها كل عظمة وعزة ..

هى عزة الإسلام . وعظمة الإسلام .. واخوة الإسلام .

ما نأخذه من الغرب وما ندع

لقد حكم الشرق مئات السنين كان فى خلالها مسيطرا على مقدرات العالم ومصايره ثم أفلت منه زمام السلطان فاستولى عليه الغرب وتغلغل بوساطته فى كل صقع وقطر .

وظهرت له مدنية وحضارة امتد نفوذها فتغلبت على كل شيء ولا يستطيع شخص الآن أن ينكر قوة الغرب وتسلطه وسطوته. والشرق مسوق للاخذ عنه والاغتراف منه . فما الذى نأخذه من الغرب وماالذى ندعه ونتحاشاه ، هذا هو السؤال الذى يدور بخلد كثير من محبي الشرق وطالبي رفعته وعودة قوته : وها هو الجواب بإيجاز :

لا شك أن العلم المدنى والصناعى والتجارى قد استبحر فى الغرب وألقى بخبراته وبلغ درجة عالية جداً من التحقيق والتمحيص وها هى نتائجه جلية فى مؤلفات الغربيين ومخترعاتهم وصناعاتهم ورواج تجارتهم فعلى الشرق أن يسارع للاستفادة من هذا بكل قواه ليستثمر أمواله ويستغل معارفه وخبراته الكثيرة وينجو من تسلط المستغلين له وحرمان أهله من النعم التى خلق الله لهم .

وفى الغرب خلق وطنى متين وتفاخر بالقوة عظيم وثقة بالنفس كاملة واهتمام بتيسير الحياة على المساكين والمعوزين ونزاهة فى الأعمال وانكباب على العمل الجدى النافع . وللشرق أن يستفيد من هذا كله فيجدد شبابه ويعود إلى مجده السابق وعزه التالد ويخرج من ضعفه الذى غطى على مزاياه وأزال كثيراً من بهائه :

وفيه نظام وصحة وتعاون وتجديد مفيد وتنفيذ للقوانين ومساواة بين الناس بل عدم محاباة أومداجاة والشرق خليق بذلك كله فهو أحق به وأهله وأتباعه حيث تعاليم الاسلام .

ولكن فى الغرب إلى جانب ذلك كله شيوعية مخيفة مدمرة لاتعرف رحمة ولاحنانا ولاعطفا ولاحقا ولا واجبا ولاترعى فى الناس إلا ولاذمة ولاضميرا ولاوجدانا وعلى الشرق أن يحارب هذه الشيوعية بكافة الأسلحة ويدفع فى صدرها بغاية النشاط والسرعة والمبادرة إذ الشيوعية هى الداء الوبيل

والمرض الذى لاشفاء منه ولا علاج ولا يبعدان تقلب الشيوعية أوربا رأسا على عقب فى زمن قريب .

وفيه رأسمالية ظالمة مستبدة عاتية غاشمة تفرض سلطانهما على كثير من الدول والافراد وهذه الرأسمالية تنهك القوى وتجعل عمل الشخص يعود فى أغلبه إلى سواه والشرق خليق بمحاربة هذه الرأسمالية المسلطة لاسيما والقرآن الكريم يقول « وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان » ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ففيه إلحاد وكفر واستهتار بالدين وتعاليمه ومجاهرة بالفسوق والعصيان وتطاول على الفضائل والآداب والتقاليد الصحيحة الفاضلة والشرق لايصلح إلا بالإيمان العميق والعمل الصالح والأخذ بتعاليم الدين السامية القوية ففى هذا وحده مجده وكرامته وتقدمه ونهضته وأرتقاؤه وسلطانه . وفى الغرب إباحية وفوضى أخلاقية واستهتار بالعفاف وفهم له غـــير معقول ولامفهوم واختلاط بين النساء والرجال ليس محمود العاقبة ولا مأمون النتيجة وعرى وجرأه على الفضيلة وانسياق مع تيار اللذات ، والواجب على الشرق التخلص من هذه القيود والاصفاد وانقاذ نفسة من شرورها وبلاياها حتى لاتعوق نهضته الكبرى ولاتعطل عمله العظيم .

وفيه ظلم واستعمار وتجن على الضعيف وعبادة للقوة الماديه فى أى مظهر من مظاهرها وحط على الأمم المستضعفة سيئة الحظ والشرق الذى يطلب الحرية والاستقلال عليه أن يتجنب هذه الصفات الذميمة البغيضة .

هذا موجز صغير لمحاسن الغرب ومساوية ومايجب يأخذه الشرق منها وما يدع .

فلعله يوفق إن شاء الله تعالى للاستفادة مما فى الغرب من مواطن قوة

ونفاق ، ويبتعد عن أسباب الزلل والعثار لينال ما يصبو إليه من عزة وسؤدد ومجد وسلطان والإسلام زعيم للشرق بكل ما يتمنى ففيه جميع المبادىء العليا والأصول القوية الضامنة للفوز والفلاح والتقدم والنجاح .

الإسلام دين توحيد وحده

إذا تعرف الإنسان إلى الإسلام تعرفا صحيحا لوجده من أخلد الأديان على سمع الحياة وبصرها وتلمس منه الإصلاح العام الشامل لمرافق البشر قاطبة والمتمسكين بتعاليمه بنوع خاص، وإذا درس الإنسان هذا الدين دراسة بريئة عن الهوى منزهة عن الأغراض خالية من الأنانية المدنسة الممقوته .

لرآه المرء دينا قويما جديرا بالإحترام والإجلال والاكبار والقداسة .

وإذا تقرب الإنسان إليه وهو صادق النية فى قربته لاغاية له إلا الاتصال بنورانيته القدوسية . لعلم أنه هو وحده الدين القويم الذى لامنقذ للعالم غيره ولا مصلح للبشرية سواه .

.. وهذه عوامل يستطيع الإنسان أن يقف على سر حقيقتها إذا ماسنحت له الفرصة من أنعام النظر فى صفحات دستور الإسلام والإقبال بالقلب على تفهم مافيه من آيات بينات وحكم خالدة ودرر غالية لامثيل لها فى كتاب سماوى من قبل ولا يمكن للحياة أن تسمح مرة بإخراج مثل هذا النور الربانى والفيض القدسى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم . . .

. القرآن . إنما هو دستور خالد أبدى أنزله الخالق تبارك وتعالى على لسان رسوله وأمينه المصطفى . هذا الرسول العظيم الذى جاء بالقرآن بشيرا ونذيرا ونورا يستضيء به فى مراحل جهاده نحو الله . . . ومن والاه من المسلمين . . .

وإذا لم يكن فى الإسلام إلا أنه دين وحـــدة قوية ورابطة متينة وأخوة صادقة لاتدنسها الأغراض ولاتضعفهما الشهوات الشيطانية المخزية لـكفى .

وكفى بذلك العاملين به والمنضوين تحت لوائه فخرا ، وبهذا التنظيم الروحى المقدس والعمل الاجتماعى المبرور والإخوة الصادقة التى لا تماثلها أخوة . هذه الأخوة التى يحق للأخوة التى هى من الدم والعصب أن تتلاشى خجلا أمامهما يستطيع المسلم أن يكون بها سيدا عظيما وقائدا حكيما وراعيا أمنيا ومرشدا صادقا وداعيا إلى الله بأمر الله سراجا منيرا .

وكيف لا يكون المسلم العليم بأمر دينه كذلك وقد ضرب له قائده الأول ومرشده الأول وداعيه الأول أوضح الأمثلة وأحكم الخطط ممهدا له أسهل الطرق التى يستطيع أن يسير فيها ويتحصن بها ويستظل بظلالها إن أراد الجهاد المعنوى الذى عرفه له المرشد الأمين والرسول الصادق عندما جاء إليه بالحق الذى هو من عند الله والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وأيم الحق لاأدرى ولست أخال أدرى كيف يتاح للمعارضين المغرضين أشباه الرجال أن يتمادوا فى هجرهم للاسلام متهمين إياه بالضعف والعمل على التفرقة بين عناصره وعناصر الأمة .. ؟

كما لا أستطيع أن أفهم معنى أتهامهم العاملين به بالتفرقة والتخاذل والإستسلام .. .. ؟ والإسلام هو الدين الأوحد الذى دعى لإنهاض الهمم وشحذ العزائم وغرس القوة الروحية والمادية فى نفوس المسلمين والعاملين به والمستظلين بظله .

ألم يسوى الله فى الدنيا والآخرة بين الأمير والحقير والغنى والفقير . ألم يقل (الجنة لمن أطاعنى وإن كان عبداً حبشياً . والنار لمن عصانى وإن كان شريفاً قرشياً ..) ألم يقل رسول الإسلام (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) .

ديناً هذا شأنه وهذه تعاليمه يستحق أن يهاجم ويكون هدفاً للظالمين الغافلين عن الله البعيدين عن رحمته القائلين بالتثليث .

قوم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب أليم . . .

إذاً فلا تسريب عليهم ، فهم لا يبصرون مافى الدين الإسلامى من الجمال والإجلال بأبصارهم وإن كانوا قلوبهم غلف فهم لا يستمعون لقول الله ودعوة دينه القويم مما يجعلهم قادرين على تفهم ما فى الإسلام من قوة وحزم وإنهاض للعزائم المستعدة وشحذ للهمم القابلة للعمل الذى يرضى الله ويرضيهم ويوصلهم إلى العبادة المطلقة .

وإن زاغت أبصارهم فلا يلمسون ماله من عظمة وقدرة لا تقابلهما عظمة ولا تضاهيها قدرة . وحكمة عالية تتضاءل بجانبها الحكم وتعجز الطبيعة والعقول التى تعدها فى الغرب جبارة متغرسة .

هذا ولو برز المعارض نفسه وظهر الداعى ضد الإسلام عن نيه وأقبل بعقيدته ووجدانه على الله قبول الصادق الأمين لتعرف ما لله من قدرة وما للاسلام من عزة وما لمحمد رسول الإسلام من صدق فى قوة وفى حزم . . . أن للعالم منظم وموجد وخالق .

وأن عرفوا الله حق معرفته لخافوه وخشوه وعملوا لمرضاته بل لكرسوا

حياتهم وأوقاتهم للعمل فى اعزاز دينه وإظهار مجد الإسلام العتيد، ولجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

ولكنى أستطيع أن أقول هنا مسجلا بأنه سيأتى اليوم الذى يفهم فيه الغريب طريقه للاسلام .

أجل عندما يعرف الإباحيون إلى أى منقلب سينقلوب ليعرفون أن الله حق وليس هناك معبود بحق سواه وأن الإسلام حق ولا دين صحيح غيره وأن محمد رسول الله وهو خاتم المرسلين وسيعرفون أن الإسلام هو دين الوحدة والتوحيد الذى لا يعرف غير المساواة بين الناس ولا يعرف غير إله واحد لا شريك له وما أروع قول أحد الصوفية حين يقول :

من لا وجود لذاته منذاته فوجوده لولاه عين محال
واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه فى محو وفى اضمحلال

* * *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصانى ربى بتسع أوصيكم بهن .

١ — خشية الله فى السر والعلانية ٢ — العدل فى الغضب والرضا .
٣ — القصد فى الفقر والغنا ٤ — أن أصل من قطعنى
٥ — أعطى من حرمنى . ٦ — أعفو عن من ظلمنى .
٧ — أن يكون صمتى فكرا ٨ — أن يكون نطقى ذكرا
٩ — أن يكون نظرى عبرة .

قال المستشرق أربرى الذى ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ترجمة جميلة فاهمة واعية أننى عندما قرأت هذا الحديث أسلمت وجهى لله وشهدت بأن محمداً رسول الله حقاً وصدقا . .

﴿ فريضة الصيام وصلاة القيام ﴾

قال الطبيب الأمريكى أنه علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد أثبت الطب الحديث أن للصيام فوائد عدة فهو يفيد فى علاج كثير من الأمراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكرى ويصلح كذلك الجهاز الهضمى وهبوط القلب والتهاب المفاصل ويعطى الجسم والانسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة كما أنه وقاية من كثير من الامراض المختلفة .

إن الأسباب التى تدعونى لنشر هذا المقال بالجرائد السيارة هى كثرة الامراض التى انتشرت لدينا انتشاراً مريعا حتى كادت أن تعم أرجاء المتكونة . وما هذه الامراض فى الواقع بالهينة التى لا يعيرها الإنسان أهمية . كلا بل هى أمراض فتاكة قاتلة قل من ينجو من وبائها المخيف .

لذلك أجد من واجبى كطبيب علمته التجارب أن أتقدم لبنى وطنى بهذه النصيحة التى ألقيها من أعماق قلبى المشفق على أولئك المرضى البؤساء الذين لم يجدوا ما يوقف آلامهم عند حدها لا سيما والدواء معروف وهو فى متناول كل انسان فقيراً كان أو غنيا : وهو أن يمتنع عن الطعام لمدة شهر من كل عام ، لأن الجراثيم التى تفتك بأمعائهم وتمتص غذاءهم قد تكون دائمة الحياة مادامت واجدة من يغذيها ويحشر لها الطعام حشراً . وإنى وإن قلت بواجب الامتناع عن الطعام شهراً لا أقصد به الإضراب الكلى عن الغذاء . بل كل ما أريد هو الإمتناع عن الطعام قطعياً لمدة تتراوح حول اثنى عشر ساعة من كل يوم من ذلك الشهر المنشود الذى عرفتنا التجارب إن فيه الدواء الناجح لقمع الأمراض المستعصية التى يعسر علينا وصف دوائها حيثا من الدهر .

ولا أكون مبالغاً إن قلت إن دين الإسلام هو أحكم الأديان حقيقة

وقد تنجلى حكمته البليغة فى فريضة الصيام التى فرضها على الآخذين بمبادئه المقدسة وإن (محمداً صلى الله عليه وسلم كان طبيباً موفقاً فى مهمته حيث كان يصف الدواء قبل حلول الداء لأنه كان يستمد الوحى من رب العالمين وقد يظهر طبه الشريف فى سنة صلاة القيام التى أمر بها عقب الإفطار فى كل يوم من شهر رمضان الذى حدد لصيام المسلمين وهذه العملية الرياضية الواضحة قد تكون لمنع وجود تخمة يخلفها الطعام بعد اثنتى عشر ساعة صوماً لأن فى هذا الشهر يسترد الإنسان صحته كاملة وهو فى نظرى يسمى (شهر الصحة البدنية) فالحق أننا إذا وجدنا من المسلمين من هم أقوياء الصحة سالمين من الأمراض فقد تكون هذه الصحة الممثلة فى شخصيتهم فى مواظبتهم على الصوم فى شهر رمضان ، ذلك الشهر الذى فرضه الإسلام على الآخذين به والمتمسكين بتعاليمه القويمة .

إنى إذا صرحت بمثل هذا التصريح الذى يعتبر موالاة لدين غير دينى فإنى أقول بهذا انصافاً للحق الذى هو أحق أن يتبع وقياماً بواجبى الإنسانى الذى تتطلبه منى مهنتى وإن الذى دعانى لعمل هذا التصريح أكثر هو مرضى الخطير الذى مكث معى أكثر من عشر سنوات عجزت فيها عن مداواة نفسى كما عجز معى جميع الأطباء المعلومين لدينا فى أمريكا وفرنسا وغيرها حتى تملكنى اليأس واحتاط بجوانبى البؤس حتى كدت أقدم على الانتحار .

لكنى وفقت أخيراً إلى معرفة أحد الأطباء المسلمين كان فى أمريكا فشرحت له حالتى ويأسى من العلاج فوصف لى أن أصوم شهراً كاملا بالنظام الآتى :

أتناول طعاماً خفيفاً قبل نومى فى منتصف الليل وبعد مضى اثنى عشر ساعة أتناول طعاماً آخر وبعد تناول الطعام الأخير بنصف ساعة أقوم بعملية رياضية تستغرق ثلاثين دقيقة .

فعلت ما أمرني به ذلك النطاسي فوجدت صحتي في تحسن مطرد وما كان ينتهي ذلك الشهر المقرر لمدة العلاج حتى وجدت حالتي العامة على أحسن ما يكون وذلك يرجع لمدة عشر سنوات تقريباً وأنا أواظب على صوم شهراً من كل عام بالطريقة المذكورة وقد وقفت منذ أربع سنوات إلى معرفة طريقة صيام المسلمين في شهر رمضان وقد اتبعتهما تماما .

فلماذا لا يتبع هذه الطريقة كل من هو مريض أو غير مريض فالمريض يكتفي شر مرضه والسليم من المرض يعمل لعدم وصوله إليه .

هذه نصيحتي أتقدم بها إلى كل إنسان ليغتنم مافيها من الفوائد الجمة لحفظ كيان صحته العامة وبذلك ترتاح الآلات المعوية التي نحملها مالا طاقة لها على احتماله بغير راحة ما وقد تكلم صاحب المقال عن الفوائد الكثيرة التي يتحصل المسلمون عليها من صلاتهم المفروضة بما تخصص له مقالا آخر إن شاء الله .

عن جريدة الشعب الإيطالي

هذا وقد صدر أحدث كتاب في أمريكا عن فوائد الصوم من تأليف ثلاثة أطباء هم : الأم كورت ، وجيروم اجيل ، ويوجين يو . ويقول مؤلفوه إن للصوم ٢٧ فائدة أهمها انقاص الوزن ، تحسن حالة الصائم جسمياً ونفسياً ، مع شعوره بأنه أصغر سناً ، ويعطي لأجهزة الجسم راحة ويخلصه من المخلفات ، ويخفض ضغط الدم ويسيل الكولسترول ويزيد الطاقة الجنسية ، ويعطي الجسم فرصة لعلاج نفسه ، ويزيل التوتر ويساعد على النوم بعمق ، ويحسن الهضم ، ويشعر بالإنتعاش ، ويزيد من حدة الحواس ، وينظم الأمعاء . ويؤدي إلى توقد الذهن ، ويبطيء من زحف الشيخوخة ويقول المؤلفون أن الأمريكيين يحرصون الآن على الصيام كوسيلة لانتقاص

الوزن والإقلاع عن التدخين واكتساب عادات غذائية جديدة . وعلاج الضغط وارتفاع الكولسترول .

وقد أعلن الدكتور يورى نيكولاييف مدير قسم الصوم فى معهد موسكو للعلاج النفسى أن الصوم ضرورى للمعرضين للزحام والعوادم العامة للسيارات وأدخنة المصانع والتلوث الجوى عموماً . ويضيف أنه يستخدم الصوم كطريقة فعالة لعلاج انفصام الشخصية الذى يعرف باسم مرض المستقبل .

ويقول مؤلفوا الكتاب أن الصوم لا يضر الصحة ، بالعكس فإنه يعطى الجسم والأنسجة فرصة للتخلص من السموم والشحم الزائد .

ويقول الدكتور نيكولاييف بعد خبرة ٣٠ عاما أن الصوم يحرك وينشط جهاز المناعة والدفاع ضد كثير من الأمراض ولهذا كان أبوقراط أول طبيب فى التاريخ (سنة ٤٠٠ قبل الميلاد) يصف الصوم لمقاومة الأمراض وكان يقول إن فى داخل كل إنسان طبيباً يجب أن تساعده فى عمله .

ويقول المؤلفون أن الصيام ملائم لحياة العمل طوال اليوم حتى الرياضة ولا يؤدى الصيام إلى تغيير فى صورة وتركيب الدم ولكنه يؤدى إلى زيادة نشاط الانقسام وإنتاج الخلايا والعمليات الحيوية . ويزيد إفراز الهيبارين فى الدم مما يقلل نسبة الهستامين المسبب لأمراض الحساسية .

« الإسلام دين ودولة »

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

* * *

بهذه الآيات البينات وبهذه العظة البالغة تبنى الأمم الآخذة فى النهوض مجدها واستقلالها ... وبهذه التعاليم الربانية الصادقة يستتب أمن الأمة الناهضة .

(... وبهذه الروح اللاهوتية الناسوتية الكريمة تأخذ الأمم المهضومة الحقوق حقوقها كاملة ، وبهذا الدستور العادل الصالح تسترد الدولة كرامتها المسلوبة ... بل تستطيع الأمم العاملة بهذا القانون السماوى المقدس أن تعيد حيويتها الكامنة وتستعيد قوتها المفقودة .

ولا غرابة فى ذلك أبداً . فهذه الآيات الناطقات بهذا الإيمان القوى ، الذى يدفع بالمسلم العامل به على النهوض والعمل على إبقاء تراثه القديم واستقلال أوطانه المقدسة ويسعى وراء استرداد حريتها كاملة غير منقوصة .

من هنا نجد الغذاء الروحى بدسامته فى مثل هذه الأحرف النورانية المقدسة التى هى ليست من صنع البشر وما هى من إبتكار الإنسان فهى قوة كامنة لان الطبيعة علمتنا قديماً أن ما يصنعه الإنسان يهدمه إنسان آخر ... ولكن الله تبارك وتعالى يتجلى على عباده بهذه المواد الازلية ليعتصموا بها ويهتدوا بهديها ويستضيئوا بنورها فهى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم ...

وإن كانت الامم قديماً قد عملت بهذا المعنى المقدس ودعمته فى النفوس فكانت لها الغلبة ، وكان لها السلطان ، وجعلته غذاء لشبابها ونوراً يستضىء به فى كفاحه وجهاده فى سبيل العقيدة والمبدأ وإرضاء الضمير .

إذا لا شك فى أن تعاليم الإسلام خالدة على مر الدهور ، باقية رغم الأباطيل التى يروجها الخارجين على الإسلام الحاقدين على تعاليمه ... ولامراء فى أن الإسلام دين الوطنية الصادقة والإيمان الصحيح فهو دين منزه عن الأغراض بعيد عن الأباطيل راسخ المعنوية قوى بفطرته وقداسته .

أجل . هو الإسلام وحده الذى حدد الغاية التى تدفع لايجاد شعور قوى يوجب العمل وهو وحده الدين الذى ألزم تابعية بالكفاح فى سبيل الحرية دون عصبية ولا تعصب لجنسية أو فخر كاذب ...

هذا لأن الإسلام لا يعنى مطلقا بمثل هذه النزعات الفارغة التى تراها واضحة فى غيره من الأديان والمذاهب الأخـــرى والتى نشاهد الغربيين يتمسكون بها اليوم ويتعلقون فى أذيالها وهى التى يصل بها أنصار الغرب الضالين المضللين الذين يتخبطون فى دياجير الجهل والحمق وهم يدعون العمل للدين أو التبشير باسم الدين وهم لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه ولا يفقهون من الدين إلا ماتظهره لهم شهواتهم من هيكل . ورغم أنهم يترنمون بالوطنية ويدعون قيادتها فهم أجهل الناس بأبسط مبادئها التى سجلها الإسلام فى دستوره العام الخالد . قوم لا يفقهون القومية التى يدعونها وهم لا يعرفون منها غير هذا الشبح المخيف الذى يتصورونه فى أوطانهم . ويصدرونه للشرق الذى يعمل الغرب لالتهامه واغتياله فى واضح النهار . ولكنه شبح يتصدر لهم فى أوطانهم ويزاملهم فى حياتهم (ليردهم على أعقابهم خاسرين) .

« الإسلام دين العمل والعمران »

مما لا شك فيه أن الدين الإسلامى دين المدنية والعمران وهو الدين الذى يدفع بالعاملين به والمتمسكين بأهدافه إلى العمل المنتج الجدى الذى يستطيع به أن يصل إلى الغاية النبيلة التى خلق لأجلها والوجهة الصالحة الذى وجد لها . لأن الإنسان لم يخلق عبثا ولم يوجد سدى. ولكن الله قدر للإنسان

أن يكون له أثر مفهوم فى عالم الوجود وصوت يسمع فى الدنيا وعقل يفكر ويزن أحواله كى لا يزل له قدم .

فالإسلام الذى يعلم العامل به أن يفكر فى كل شىء حتى فى أمر الدين الذى يرتضيه لنفسه فهو دين الكرامة والعزة والوحدة والأخوة الصادقة التى لا انفصام لها .

لقد تعرفت إلى الإسلام منذ نيف وعشر سنين ... فماذا وجدت ؟ وما الذى رأيت ؟ وأى شعور شعرت نحو هذا الدين القويم ؟ . وأى غذاء روحى اطمأنت له نفسى؟ وكم شعرت بحياة سعيدة غير التى نشأت فيها وربيت عليها ؟ لقد كنت فى ظلام فاستقبلت نورا وضاءا ولقد عشت فى ذلة فخرجت منها إلى عزة وكرامة ؟ نشأت فى دين محدود غير مفهوم يعلم العاملين به الذلة والمهانة بقوله من صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ... أما الإسلام فرأيته رغم تسامحه الكثير يعلم الإنسان الإحتفاظ بالعزة والكرامة بقوله تعالى (وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة) وهو الذى يقول العين بالعين والسن بالسن ... إلخ إلخ .

دين يشعر العاملين به بعزة وإباء ويحث على العمل الخالص لله والوطن فلا غرابة إذا وجدنا المسلم يعمل لدنياه دون أن ينس ما للآخرة عليه من نصيب ـ وما أروع قول رسول الإسلام فى هذا وهو يقول (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) وألم يقل الله تبارك وتعالى عن الشرك علوا كبيرا (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) .

لعمرى الحق أن الإسلام لهو الدين الصحيح الذى لا شك فى صلاحيته لكل زمان ومكان . أو لم يكن هو الدين الذى أستطاع به محمد العظيم وصحبه الكرام أن يسودوا العالم به ويذلوا الجبابرة ويدكوا الحصون ويخمدوا من حدة النار ويخذلوا الكفار ...

أجل هو الإسلام الذى ساد العالم وعلت كلمته ورفعت رايته فوق الحصون والهامات ... ألم يكن الإسلام دين الإنسانية ؟ أو لم ينتشل الإنسان من أدران الكفر والإشراك ؟ ثم أخرجه من الضعف والإستسلام الذى ركن إليه حينا من الدهر !

خرست السنة هؤلاء الدجالين الذين لا حياة لهم إلا بالعمل على تشويه الإسلام والحط من كرامته وتسوىء سمعته أمام الجهلاء الذين لا يفرقون بين الحق والباطل .

الإسلام هو الذى جاء بالقرآن ذلك الكتاب المقدس حقيقة بل هذا الدستور العام الخالد الذى جاء به رسول الإسلام العظيم لاسعاد البشرية وإنقاذ الإنسانية المعذبة من ربقة الذل والاستعباد التى كانت عليه قبل الإسلام ...

والحق أنى أقول إن القرآن الكريم إنما هو الكتاب السماوى الذى يسخر ويتحدى الكتب التى يلصقونها بالأديان ظلما وعدوانا ويدعون أنها من عند الله ...

القرآن (كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم) . ألم يكن فى هذه الجملة الربانية ما يكون كفيلا بأن يخرس ألسنة المتقولين على الإسلام والقرآن والمفترين عليه الكذب ... ؟ لقد خالف جميع الكتب السماوية التى لم أدع واحدا منها إلا محصته تمحيص المدقق ... فما وجدت كتابا منها يصلح للإنسان ليتخذه خليلا من هذه الكتب المضحكة المبكية . أجـــل مضحكة مبكية لان ما فيها لا يخرج عن قصص لا تفهم وفصول لا يستطيع الإنسان أن يعرف فيها الحقيقة اللهم غير قصص هى أقرب ما تكون إلى قصص الاطفال ، ولا أدرى كيف سميت هذه الكتب كتب سماوية ؟ وكيف يتاح للعاملين بها أن يخضعوا لسلطانها ويتخذونها مثلا أعلا لهم .

والحق أنى لم أر غير هذا الدستور الكامل فهو الكتاب الوحيد الذى أستطعت أن أفهمه كقانون عام ودستور خالد .

﴿ لا فاشيه ولا نازية ولكنها النظم الإسلامية ﴾

دفعنى إلى التحدث فى هذا الموضوع رغبة ملحة فى محاسبة هؤلاء الذين يترنمون بالنظام ويتغنون بالطاعة وينسبون لأنفسهم فكرة الفاشية والنازية والنظم العسكرية .

ولا غرابة أن رأيتنى فى كلمتى هذه أعلن سخطى على هؤلاء الأدعياء الجائرين ، لأنى من الإيطاليين الذين يقولون أنهم أول من ابتدع فكرة النظم الفاشية .

ولا أنفك أقف موقف المحاسب للزعيم موسولينى الذى يتخيل الجميع أنه خالق الفاشيه ومبتدع نظمها التى كان يحاول أن يخيف بها العالم ولكن إذا انكشفت الحقيقة كانت أجدر بأن يتبعها الإنسان المجرد عن الهوى .

إن هذه النظم العسكرية لا تمت لنا بصلة مطلقا إذ أنهـا كانت من النظام العام الذى وضعه الدين الإسلامى ، ذلك الدين الذى أراد الله أن ينشل به عباده وينقذهم من الهـوة السحيقة التى كادت الإنسانية تنحدر إلى قرارها حيث الجهالة والذلة والإنقسام والتخاذل وضياع الكرامة والشرف .

تلك كانت حالة البشرية والتى عالجها رسول الله بقوله (من حفظ القرآن ثم نسيه فليس منى) ثم يقول (من تعلم الرمى ثم نسيه فليس منى) .

إنك إذا أمعنت النظر باحثاً مدققاً فى هذين الحديثين الجامعين لتجلى

لك ما فيهما من حكمة رائعة دينية ودنيوية ولوضح لك من بين سطورهما التقوى والورع والحزم والقوة والعزة والأباء ولعرفت أن النظام الفاشى والنازى مستمد أصله من الدين الذى جاء رسوله الأمين بهذه الحكمة البالغة، ولآمنت بحضارته ، ولو ثقت بأن ذلك النظام الفاشى الذى ندين له و نعتقد صلاحيته أقصر من أن يكون قانوناً يسير عليه الناس وينعمون بالسعادة فى ظله كما تتخيله نحن الإيطاليين فالحديث النبوى الاول بمثابة إنذار لان القرآن رسالة السماء إلى الأرض ولأنه القانون العام الخالد الذى جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) لإسعاد البشرية وإنقاذ الإنسانية من أدران الفوضى والمفاسد التى كانت منتشرة فى نواحيها جميعاً قبل أن ينزل القرآن .

لذلك كان محمد (عليه السلام) هو الطبيب الروحى العليم ببواطن العلة الخبير بتشخيص الداء والدواء حيث لانجاة إلا بالتعاليم الإلهية التى نزل بها القرآن الذى ارتضاه للانسانية منقذا وجعله لها غوثا من خالقها وباريها .

هذه صفة من صفات محمد صلى الله عليه وسلم الإنسانية البحته ، أما الصفة الاخرى وهى القيادة العسكرية الكبرى فإنما تتجلى فى الحديث النبوى الثانى المتقدم .

وإنك لترى فيه إنذاراً كذلك لان قوام الأمن وسلامة المجتمع إنما ينحصر ذلك كله فى التدريب على الدفاع عن النفس والوطن والدين فالتمرين على حمل السلاح هو كما ترى عدة الدفاع وأولى وسائله .

إن هذا الحديث يتضمن إنذاراً ودعوة لكى يحمل المؤمن سلاحه ويكون جندياً على قدم الأهبة والإستعداد فإذا قرنت سلاحه المادى الذى يحمله بسلاحه الآخر المعنوى الذى استمده من الحديث النبوى الأول السابق لرأيته مدافعاً جريئا لا يعرف للتراجع معنى ولا للخوف سبيلا ، ثابته لا تزعزعه الأهوال ولا تنال من عزيمته الحوادث والخطوب إلا ما أراد الله -

هل فهمت الآن من هو الرجل الأول الذى جاء بذلك النظام الأوربى الذى نرفع رايته الآن .؟

ذلك هو محمد بن عبدالله النبى العربى والقائد الأول الذى وضع هذه النظم دون أن يعتمد على عضد دولة أخرى أو أن تكون غايته التى يرمى إليها التهام الدول الضعيفة أو أن يملى إراوته عليها ثم يستعبدها ويستذلها .

وقد وضع ذلك الرجل العظيم المنصف العادل تلك النظم العسكرية الأولى لانقاذ الإنسانيه جميعاً فى نواحى الأرض ولتوجيه المسلمين إلى ناحية القيادة العامة الروحيه منها والمادية ؟

وطنية الإسلام وإشتراكيته

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) أن من يتعرف إلى الإسلام ويتدبره جيداً ومن يتقرب إليه خطوة واحدة يستطيع أن يفهم الإسلام على حقيقته ويحكم بأنه هو وحده الدين الذى يناصر الفضيلة ويقارع الرزيلة ...

وأنه الدين الأوحد الذى يحترم ويمجد القومية ويضعها موضع المثل الأعلى للفرد المسلم والجماعة المسلمة .. ..

وكيف لا يكون كذلك والإسلام قد ساد العالم بالعدل والانصاف ولم تصادف الانسانية عدلا . ولا حرية ولا مساواة إلا فى ظل الاسلام وتحت الراية الاسلامية التى خفقت فوق العالمين .

لا غرابة إذا مارأينا الهامات تخضع لاشتراكية الإسلام. وهو الدين

الذى أذل الجبابرة ودك حصونهم وكانت له الغلبة والنصر بفضل الله الذى يمد جنوده من روحه ... (وما النصر إلا من عند الله) .

وماذا يقول الغرب وأنصاره فى وطنية القائد الأول للاسلام ذلك القائد الموهوب . محمد بن عبد الله .. . . ألم يكن هو الذى استطاع أن يوجد من أمة همجية متخبطة أمة تشعر بوجوب السيادة والحرية والاستقلال ... ؟

وما أروع الإسلام فى مبدأ السيادة وهو مبدأ قويم تتضاءل بجانبه المبادىء وتتكمش أمامه سيادة الامم قاطبة والغرب بأسره .

وكيف لا تسود تعاليم الإسلام العالم أجمع ويكون عند الشرق القدوة الصالحة والمرجع الحق ... ؟

وهى تضرب أعلى الأمثال فى الوطنية والجهاد فى سبيل الوطن والكفاح لاسترداد الحرية الصحيحة التى يجب أن تكون عليها الأمة التى تريد أن تحيا حياة سعيدة لتسود فى نزاهة وعدل ..

وأما وطن الاسلام الذى يعتبره كل مسلم فهو كل شبر أرض فيه مسلم معترف بالله وبرسوله واليوم الآخر ومن واجب المسلم أن يعمل لهذا الوطن الاسلامى ويستميت فى سبيل حريته وإستقلاله وصيانته من غارات الأعداء والحاقدين عليه . . . فنى اعتقادى أن الاسلام قد أوسع صدر الوطن الاسلامى العام كما أوصى بالعمل والتضحية فى سبيله فمن المسلمين من تراه اليوم لا يدخر وسعا للسعى جهد استطاعته للحفاظ على سلامة واسترداد تراثه وعزته الخالدة لأن المسلم فى عرف الاسلام يجب أن يعمل أولا لوطنه الذى ولد فيه حتى إذا مادعم إستقلاله ووطد حريته واطمأن على مصيره وجب أن يواصل كفاحه حتى يمتد نفوذ الوطن الاسلامى وتعلو راية الاسلام فوق البلاد الأخرى التى ترزح تحت نير الاستعمار حتى تتحرر .

لا تنس بعد ذلك (الامبراطورية الاسلامية) التى شيدها المسلمون يعزيز دمائهم و نفيس حياتهم و أغلى ما يحرص عليه الانسان من ال و بنين .

وهنا ترى جلال ما قد منا به مقالنا من آيات تستطيع أن تفهم منها أن الاسلام قد وفق بوضوح بين العمل للوطن الخاص والشعور بوجوب العمل للوطن العام لما فيه من استتباب لأمن الخلق و اسعاد للبشرية جمعاء ..

الحرية فى الاسلام والعبودية فى غيره من الأديان

لقد أصبح من الطبيعى اليوم على كل إنسان من بنى البشر أن يتطلع إلى الحرية الكاملة ولاسيما المتمسكين منهم بأديان منزله لأن الحرية هى التى توضع عليها الاساس الاول للدين . وأصبح كل فرد من الناس باحث عن مكانها متطلعا إلى فوائدها الروحية . ولكن للاسف الشديد نحن لم نجد لها أى أثر عندنا حيث لم نشعر بوجودها يوما من الايام .

هذا لأننا ندين بدين قد أحاطت به الاوهام ولحقـــه التدهور حتى أصبحنا نشك فى حقيقة أمره الشك كله لان دينا يفرضه خالق السموات والارض على عباده ليكون دستورا تنضوى تحت لوائه الامم لابد وأن يكون مملوءا بمعنوية الحرية بمعنى أن تكون هى أول المواد التى توضع لهذا الغرض وأى غرض يكون أسمى من هذا الذى يفرضه الله جلت قدرته .

فمن الخطأ أن يعتقد إنسان حتى من ذوى الدول المحدودة أن يكون دينا خاليا من الحرية التى تساعد الذين يتمسكون به ويتعلقون بما فيه ويتمتعون بالحياة الحرة وإننى لا أثق بأن هذا الدين الذى نراه اليوم هو الدين الذى جاء عيسى عليه السلام داعيا إليه ومعرفاً بأصول مبادئه المقدسة وهذا اعتقاد حاذق لامراء فيه ولا جدال لانه من المعلوم لدنيا جميعاً أن هذا الدين قد لعبت فى مبادئه الكنيسة منذ زمن بعيد حتى جعلته هباء لدرجة تجعله لا يصل

بالمتدين به إلى رقى أزلى أو تقدم حلقى ماداموا قد نزعوا من مبادئه الحرية والسلام وأحلوا محلها المهاترة والمضاربة المكشوفة والخنوع .

وقد نرى أن ذلك الدين الذى ينسبونه للسيد المسيح قد ركد فى مكانه بل تراجع إلى الوراء وكان نصيبه الاضمحلال والانحلال من كل نواحيه لان كل من ينضج عقله ويتسع تفكيره من الذين خرجوا إلى الحياة فوجدوا آباءهم على ذلك الذى يسمونه دينا مسيحيا لا يلبث أن يتركه ويكون بعيدا عنه وحربا عليه . وهذا ما يساعد على الاعتقاد والجزم بعدم صحته وضياع حقيقته ولكن هنا نقطة هامة فى هذا البحث وقد يتسائل عنها الكثير ، بل الكثير جداً بقولهم :

ماذا تفعل هذه الجماعات وتلك الافراد بعد ما تترك ما كانت عليه من عقيده ؟ هل يقفون عند هذا الحد ليصبحوا غير دينيين ؟ أم يرجعون إلى دينهم بعد حين ؟ .

كلا والله لا هذا ولا ذاك ، لأن كل من يهجره لا يفعل ذلك إلا لعلمه بأن مثل ذلك الدين لا يكفل له حياة دينية بمعنى الكلمة ليعيش فى كنفها سعيدا بل جميعهم يتركونه بعد البحث الكثير عن دين يضمن لهم حياة حرة فى الدنيا وأخرى فى الآخرة . لذلك نراهم يلجئون إلى دين قد عرف من مبدئه بالعظمة والجلال .

وهذا هو دين الإسلام هـــذا الدين القويم الذى يرفع من شأن من يتمسك به إلى درجات الرقى العظيم ويضمن لأبنائه السعادتين الدنيوية والأخروية فيتمسكوا بتعاليمه القويمة التى يرتاح إليها الضمير الحر البرىء ويهتدى بنورها كل من كان ضالا عن سواء السبيل ، لأننا نعلم بأن أول ما يدعو إليه (دين الإسلام) الحرية التى يمنحها لأبنائه كى تمكنهم من الإيمان الكامل الذى لامراء فيه ولا هوادة بأن هناك إلها قادرا خالقا وأن

هناك رسلا قد أرسلهم لهداية مخلوقاته إلى سبيل الرشاد وأن هناك رسولا قد أرسل خاتما لرسل الله وأنبيائه ليتم دينه العظيم .

ولذا كان هذا الرسول الأعظم الذى لم يرسل الله سبحانه رسولا ولا نبيا من بعده ليقوم بدعوة الخلق إلى الحق وهذا الأخير هو (محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم) النبى الأمى الذى لا يسعنا فى مثل هذه العجالة أن نذكر من معجزاته العديدة التى ملأت العالمين هدى ونورا أعظم من معجزة (القرآن الكريم) الذى أنزله الله تبارك وتعالى عليه ليكون هاديا لمن يهتدى بنوره ودستورا يجمع بين صفحاته المنيرة ما يكفل للأمم جميعها حياة حرة صحيحة فمن كان يرغب فى الحرية فلا يذهب بعيدا بل يلجأ إلى دين الحرية والسلام (الإسلام) دين السعادة الشاملة . هذا الدين الذى هو أصلح الأديان قاطبة على وجه الأرض وفوق أطباق السماء .

هذا وإنى أعلن للجميع بأننا قد بحثنا عن الحريه وبحثنا كثيرا فلم نجدها فى غير دين الإسلام رغم أننا وجدنا العبودية ماثلة بجميع ضروبها فى الأديان الأخرى التى مزق مبادئها المغرضون الذين يتزعمونها فليدخل فى دين الله من يشاء ليتمتع بالحرية الكاملة والسلام الدائم وليضمن لنفسه الدار الآخرة (والدار الآخرة خير وأبقى) .

ولقد يقول قائل : إن الغربيين أنفسهم يتمتعون بحرية كبيرة وقد تكون فى عرف الإسلام محرمة . استهجانا لما تدعو إليه .

فنقول له فى صراحة : إن الذى تظنه هو محض الخطأ لأن الحرية التى يتخيلونها فى أوربا لم تكن هى التى نشير إليها هنا : بل تلك الحرية المزعومة فى أوربا لم تكن هى التى يرتاح إليها الضمير الحر وتطمئن بها النفس البريئة وترضى عنها الروح العالية السليمة بل هى فى نظرى ونظر كل عاقل إجرام

متواصل وسخرية مزرية وجور دائم . فلا يتمسك بها غير ذوى العقول السخيفة والنفوس الحقيرة من المتوحشين الذين لا يتعدون بربرية العصور الوسطى .

وأرى أن من أقدس واجباتى بعد أن سجلت هذه الصفحات عن جهادى نحو الاسلام الذى هدانى الله إليه وشرفنى به دون أهلى وعشيرتى وأبى وأمى وبعد أن ذكرت هنا بعض الشيء مما لاقيته من عنت وإرهاق وما تحملته من كيد وأذى فى طريق دعوتى لله ورسوله ودين الحق الذى اعتنقته عن رضا . . . رأيت أن أقوم ببعض المقارنة بين (عهدين) عهد الكفر والاشراك وظلم النفس وطمس الحقيقة وعهد فيه أنعم الله على بنعمة اعتناق دينه الحق الذى هدانى إليه وأنار حياتى فى حرية التفكير ونضوج العقل بعيدا عن هؤلاء الذين (ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون) بعد أن كانت حياتى انغماسا فى الشهوات وميلا إلى الابتعاد عن العبادات وإشراكا بالله العلى العظيم متخبطاً فى ظلمات بعضها فوق بعض .. يسوقنى الشيطان إلى طريق غير مستقيم لا يكون فيه غير الخسران المبين تعطلت فيه مواهبنا الإنسانية فلا عقل يكشف حقائق الأشياء ولا إيمان يدفعنا على مواجهة الباطـــل وبين ما أولانى به الله الآن من نعمه وكرمه وما خصنى به دون أهلى وعشيرتى منذ اعتنقت الإسلام من السير فى الطريق الصحيح طريق الحياة الأبدية . ففى الإسلام مظاهر الإجلال الحق والإخلاص الصحيح والإحترام المفهوم والتعظيم للخالق جل وعلا وفى الإسلام قوة وعظمة وبراءة من الأهواء والأغراض وفى الإسلام الكرامة والعزة والخلود — وفى الإسلام بعداً عن التناقض والتضارب والرياء — وفى الإسلام كمال يصلح الله به الناس جميعاً لأنه الدين الصـــالح لكل زمان ومكان .

هذه الخصائص الروحية القوية هى التى تشبعت بها نفسى منذ هدانى الله. فجعل منى ـ رجلا آخر ... أين كنت وهذا النور الربانى الذى أنا فيه الآن . أين كنت وهذه السعادة الأبدية التى كنت أحلم بها قبل اليوم ـ أين كنت. وهذه العقيدة القوية بالله الجبارة على المخالفين والغافلين . أين كنت وهذا الإيمان الذى أستطيع به أن أحطم الحديد وأزلزل الجبال وأخمد النار . أين كنت وهذه الروح التى منحها الله لى والتى تشعرنى اليوم بقوتى المعنويه. أين كنت من هذه الحياة الجديدة السامية التى تعلو فوق كل اعتبار .

﴿ الديانة الراجحة فى تنظيم ملكوت الله ﴾

رأى أحد المدرسين الإيطاليين بيدى كتاب (حضارة الشرق) الذى ترجمت عنه الكثير فى هذا الكتاب طلبه ليطالعه فأعطيته إياه فأخذه متلهفاً وكان يقرأ فيه بإمعان شديد حتى رأيت الفصل فى هرج ومرج وهو غارق بين صفحات الكتاب حتى دق الجرس إيذاناً بانتهاء الحصة . ولكنه لم يتحرك من مكانه كأنه لم يكن معنا فتوجهت إليه قائلا لقد دق يا أستاذ الجرس ألم تسمع ؟ ولكنه نظر إلى نظرة الحائر وهو يقول لا أريد أن أدع هذا الكتاب قبل مطالعة كل ما فيه . قلت قد يكون لك ما تريد ولكن بعد انصراف الطلبة. وهنا قام متوكأ على مكتبه والكتاب بيده والصفحة التى يقرأ فيها بين أصابعه وأذن للطلبة بالانصراف وبعد ذلك اصطحبنى حيث غرفة المدرسين وأجلسنى بجواره على أحد المكاتب وطلب منى مشاركته فى بحث ما فى الفصل الذى وقع نظره عليه وكان معنوناً بعنوان (الديانة الراجحة فى تنظيم ملكوت الله) ومن حسن حظى أنى كنت لم أطالع هذا الفصل من قبل . وأخذنا فى بحثه سوياً وكنت أشرح له النقط التى كان يتوقف فيها قياما بواجبى كمسلم يحتم على دينى أن أفهمه لمن يجهله مضحياً فى سبيل ذلك كل مرتخص وغال وقد خص المؤلف هذا الفصل بالمقـــارنة بين الديانات حيث تكلم

عن الديانة الموسوية والديانة المسيحية والإسلام وها هو النص الكامل لما قال :

إن الله سبحانه وتعالى قد سخر الأديان جميعها للاصلاح العام وكان لكل دين مهمته التي يقوم بأدائها ورسالته التي يجيء بنشرها للعصر الذي يكون فيه حيث يلائم الروح ويتمشى مع الإنسانية الصادقة المعنوية. ولكن الديانتين الموسوية والمسيحية كانت لكل منهما عظمته وإجلاله والإحترام الذي يليق بمكانته ولكن النقص والتحريف الذي ظهر أخيراً فيهما هو الذي غرسه أبناؤهما في القلوب الحائرة التي فترت حتى تلاشت الحيوية التي يريدها الدين من أتباعه والمؤمنين به .

ولكن الله أرسل رسوله محمداً بدين الحق ليظهره على الدين كله . هـــذا الدين الراجح الذي جاء لتنظيم ملكوت الله وهناءة عباده الذين يتمسكون به هو وحده الذي يسد النقص الذي أوجدته العصور المتنافسة التي أثرت في الديانات التي سبقته . فالإسلام هو الدين الذي جاء لتنظيم الحياة الإنسانية تنظيماً روحانيا حيث يعطي لكل ذي حق حقه بل هو الدين الذي جاء ليقضي على الفوارق جميعا والتي كانت هي السبب في زعزعة الأديان عن مكين مبادئها وإخراجها عن معنويتها .

وإن هذه المساواة وذلك الإنصاف الذي جاء به الإسلام لهو الشيء العظيم الذي يشعرنا نحن الذين بعدنا عن التمتع به حينا من الدهر بعظمة هذا الدين العالمي وصلاحيته لكل عصر من العصور . وقد يكون هذا هو السر في انتشاره هذا الانتشار الغريب الذي لم يسبقه به أي دين . لأن دينا كدين محمد يدعو إلى المساواة والإنصاف ويدعو إلى الأخاء والوحدة يدعو القوي لمعاونة الضعيف ، ويدعو الغني لمساواة الفقير ، يدعو الأمير ليقف بجانب الصغير جنبا لجنب لا فارق بينهما ولا حائل يحول دونهما ما دام الجميع ينضوون تحت ظل راية واحدة . هي راية الإسلام .

دين اشتراكي كهذا جاء ليقضي على الخرافات التي كان يتمسك بها دعاة الجاهلية الذين فترت عقيدتهم حتى أمسو ولاهم لهم في الحياة إلا أن يصنعوا آلهتهم بأيديهم ليخدعوا بها أنفسهم فيصبحوا لها عابدين وإياها مقدسين بل وأمامها يخرون ساجدين ولها كلها معظمين مع العلم بأنها لا تضر ولا تنفع فوق علمهم بمصدرها .

في ذلك الحين كان لابد من مجيء دين كدين الإسلام ليضع حداً لمثل هذه الفوضى الدينية التي تبعتها الأخلاق الوضيعة وتروجها النفوس الحائرة وتنشرها العقائد الجاحدة التي لا تعرف للنور منفذا ولا للانسانية مكانا بل ولا للحياة صبغه .

نعم كان لابد من مجيء الإسلام ليقضي على هذه الشيوعية الحقيرة وتلك البلشفية المرذولة . ولذلك أرسل الله رسوله محمداً بالدين العالمي ليصلح به العالم أجمع بل لينقذه من الهمجية التي كانت متغلغة فيه . وقد أدى فعلا الإسلام رسالته على ما يرام وإن ما صادفه من التوفيق في نشر مهمته العالمية لهو أعظم برهان على أنه دين الحق الذي يصلح لتنظيم ملكوت الله .

هذا وإني أرى الآن بل أجزم بأن أوربا الصليبية التي كانت إلى عهد قريب تظهر الإسلام في أبشع الصور بقصد سيء هو تنفير الذين لا يعرفونه منه وإبعادهم عن الإستفادة بنوره العظيم قد أدركت ضرورة الإلتجاء إليه والتمسك بتعاليمه لحل مشاكلها الدولية التي تعقدت لأن ساسة الغرب سيرون ألا مخرج لهم من الفوضى التي طغت على بلادهم غير هذا الطريق المستقيم البعيد عن الإلتواء الذي يمنحهم (عصبة أمم) منظمة تأمر بما يوافق الحضارة الصحيحة والمدنية الصريحة بعد أن تفرقت كلمتها وتبعثرت صفوفها وتحطمت وحدتها وتلاشت معنويتها . وإلى هنا انتهى الفصل مترجما .

فقلت للأستاذ ما رأيك فى هذا الذى قرأت ـ فقال وهل هناك من ينكر على الإسلام صلاحيته لكل زمان ومكان ، قلت إذا أنت مقتنع بأن هذا هو الدين العالمى حقيقة كما قال المستشرق (رابتي دافيد) قال بدون شك كيف لا وهو الدين الذى يتمشى مع الإنسانية الصادقة وضمان سعادة من يتمسك به . قلت إذا كنا متفقين إلى هذا الحد لماذا لا تتمسك به لتتمتع بما فيه من مزايا ؟ قال فى الواقع أنا مسلم وعندى عقيدة راسخة بأن الإسلام هو الدين الحق ولكن بحكم الضرورة أتمسك بمسيحيتى وأننى فى الرغام . قلت غريب منك هذا التصريح وقد خلقنا أحراراً . أليس من الغريب أن يزج الإنسان بنفسه فى قفص العبودية الذى لا منفذ له ؟ وهنا حضر مدير المدرسة وطلب الأستاذ المدرس الذى كان يتحدث معى فاستأذنت منهما وانصرفت .

إن الدين عند الله الإسلام

الإسلام هو الدين العام الخالد الذى لا مراء فى حقيقته ولا شك فى صلاحيته للعالم أجمع .

الإسلام هو الدين الحقيقى الذى اختاره الله لنفسه ثم فرضه على عباده المسلمين فرضا . لقد اختار الله فى الأزل أن يكون الدين عنده الإسلام ولا أدل على ذلك من قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) لأن الله جلت قدرته وتعالت عظمته يعلم بأن فى هذا الدين القوى المتين ما يكفل إصلاح العالم أجمع ونشله من الأدران التى وقع فيها والمفاسد التى تنتظره . الإسلام هو الدين الأوحد الذى يجب أن يسود البشر وتعلو كلمته فوق العالمين وكفى المتمسكين به فخرا أنه دين الله فى الأزل قبل أن يكون دينا للبشر . فهل يمكن بعد ذلك لأى مخلوق من الذين خارت عزيمتهم وضعفت عقيدتهم وتلاشت معنويتهم أن يشك فى أمر هذا الدين القويم مهما بعد عنه أو جهل محاسنه العديدة .

أعتقد أنه لا يمكن لكائن من كان أن يتردد فى الخضوع لعظمة جلال هذا الدين الذى يعلمنا كيف نكون أحرار طلقاء لا عبيدا أذلاء . . .

إن فى قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) لعبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد . لأن الله لم يقل فى كتاب من الكتب المقدسة التى خلت قبل القرآن بأن الدين عنده هو المسيحية أو الإسرائيلية أو البوذية مثلا من تلك الأديان التى لم نزل ننظر لها بعض الأثر حتى يومنا هذا ولكنى أصرح وقد صرحت قبل اليوم وفى كل مناسبة (بأن الأديان التى تقف أمام دين الله الإسلام لا تلبث حتى تزول من النفوس . وذلك لتحولها عن الفطرة الأولى التى نشأت عليها فهى لا تصلح مطلقا لروحنا الجديدة التى تأبى الاستكانة أو الخضوع لغير الله الواحد القهار لأن روحنا الجديدة . هذه الروح الوثابة إلى العلى المتطلعة إلى الرقى الروحى التى تبعثها الإنسانية الصادقة التى فطرت على الإسلام . . لا تتفق وركود تلك الأديان الأخرى التى تخالف تعاليم الإسلام . لأنها مع تضاربها المفضوح الذى شاهدنا نتائجه السيئة حينا من الدهر لا تقوى على حماية نفسها فضلا عن الدفاع عمن يتمسك بها ويتعلق بأذيالها .

لذلك كان طبيعيا أن ترجع بكل من يتعلق بأهدابها إلى الوراء . نعم أن تضارب الأديان . قد وصل بالدول التى لم تزل متعلقة بها إلى الخراب .

قد يظن بعض الناس أن ما أصرح به اليوم على صفحات كتابى هذا جديد فى بابه حديث من نوعه . ولكن الحقيقة غير ذلك حيث أنه لم يكن غريبا وما هذه الدعوة التى أدعو بها وأتحدث عنها بجديدة أيضا ولم تكن دعوتى وحدى بل هى دعوة سبقنى بالجهر بها أكثر من واحد من فلاسفة الغرب وقادة الفكر فيه . . .

وأستطيع أن أذكر الآن منهم من فى ذاكرتى وهم الفيلسوف الإيطالى

(جوستوفوا) والشاعر الفرنسى (مورنيه) والكاتب الألمانى (هنرى مور) هؤلاء الدعاة قد جاهدوا كثيرا فى انجاح هذه الدعوة وبذلوا فى سبيلها الكثير من أموالهم وجهدهم ووقتهم . والحقيقة أن هذه الدعوة لم يكن معناها المباشر انكارنا للأديان التى هى غير الإسلام الذى نعتز به اليوم ونجله ونقدس أحكامه الإلهية عن خبرة وبحث وعلم . وقد سبق أن قررت فى مواضع كثيرة من أبواب هذا الكتاب بأن هناك أديانا قد خلت قبل الإسلام العظيم ، ولكنها جميعا ما كانت تقوم إلا لوقتها فقط إذ لا يستطيع دين أن يقوم بعملية تنظيم الدنيا وترتيب معاش المخلوقات فيها غير دين الإسلام الذى ما وجد إلا لهذه الغاية ولذا فقد ختم الله به الأديان جميعا كما أن الله قد ختم برسول الإسلام الأنبياء وجميعا . وكذلك القرآن الكريم .

ولقد قلت وقال غيرى من الذين درسوا الإسلام على حقيقته دراسة بعيدة عن الاهواء والغايات (ان الغرب لا يمكن أن يحرر نفسه من الإضطراب الذى لحقه بدين غير دين الإسلام . هذا الدين العام الذى جاء لإسعاد البشر) ولقد حاول البعض من الغربيين الذين أسلموا عن علم وبحث أن يقوموا برواج هذه الدعوة النافعة بتنظيم الجماعات وحث لأفراد على اعتناق الإسلام . ولكن الجهل والتعصب جعل الداعية يجد من الصعوبة والمشقة ماذ لله العلم الآن ،

ولعل من أظرف ما حدث للداعين السابقين حادثة هى أقرب إلى القصة (الدراماتيكية) أرى من واجبى أن أسجلها هنا على صفحات كتابى هذا عظة للذاكرين ولتكون درساً يتلقاه الجيل الجديد عن الجيل القديم البائد الذى أخر العالم أجمع وأساء إلى البشر عامة .

السنيور الفريد أوجوستوا يستشهد فى سبيل الإسلام

سجل المستشرق رابيتى دافيد فى كتابه هذه القصة التى وقعت لأحد الدعاة من الغربيين مبينا فيها مدى التعصب والجهل الذى دفع بالمجرمين إلى الإيقاع بذلك الداعية العظيم والتآمر عليه حتى توصلوا إلى قتله تخلصا منه ومن دعوته وغاب عنهم أن الداعيه يموت ويفنى والفكرة تخلد وتبقى تلك الظروف التى حلت بمن تفهم الإسلام على حقيقته وقام بنشر هذه الدعوة كانت بلاشك ظروف قاسية لأن الكثير من الذين فتنوا بجمال هذه الدعوة ولم يقفوا على حقيقة كنهها كانوا يتشككون فيمن يدعو بها ويرمونه بأحط التهم وإن كان أميرا بينهم . هذا لأنهم قوم يعيشون فى ظلام أكثر دماسة من ظلام العصور الوسطى . حيث الهمجيه والتأخر والتعصب والسخرية من كل جديد وإن كان نافعا . . . أما الحادثة أو القصة التى يجب أن أسجلها هنا فهى صورة مما كان عليه أبناء الغرب فى القديم أولئك الذين استكانوا للباطل وتوغلوا فى الطغيان وعاشوا وهم يتخبطون .

السنيور (أوجوستوا) كان من الرجال العظام الذين عاشوا فى روما . وكانت له فيها سلطة وصوله . وكان محترما من الجميع لا يرى غير إجلال الشعب له وتقديره لأعماله النافعة وشعوره الجياش نحو وطنه وعطفه على أبناء بلاده وقد تقلد زمام الحكم فيها أكثر من مرة حيث كان عادلا منصفا فى حكمه رحيما على الضعفاء مما جعله فى مكانة تعلو عن مكانة القديسين بين أفراد شعبه وأبناء أمته درس ذلك الرجل العظيم الأديان جميعها حتى اهتدى أخيرا بإرشاد بحوثه العلمية إلى حقيقة دين الإسلام ولما اقتنع بأن هذا الدين هو وحده الذى يصلح لأن يكون معلما للإنسانية المعذبة . وهذا الدين الذى يضمن للعالم المدنية الصحيحة والسعادة الدائمة وأن الإسلام هو الذى يصلح له كرجل من رجالات الغرب المسئولين لم يدخر وسعا فى اعتناقه والخضوع

التام لأوامره حيث كان يأتمر ويأمر بما أمر به الإسلام وينتهى وينهى عما نهى عنه الإسلام . ولكنه كان حكيما عندما أدرك الخطر الذى يهدده فى كل مكان فأحكم خطته . ولم يشأ أن يعلن إسلامه دفعة واحدة وقد كان حينذاك وزيرا خطيرا ولكنه اقتدى برسول الإسلام العظيم حيث بدأ فى نشر دعوته وإعلانه إسلامه والمصارحة بخطتـــه إلى أقاربه وأصفيائه وأصدقائه والأقربين . ولكن سرعان مافشا أمر ذلك الداعية وعرف ما يدعو إليه فها لهم الأمر وأخذ المجرمون يدبرون له المكائد التى يوقعونه فيها .

أما الرجل فعندما شعر بهذه الحركة وذلك الإنقلاب الخطير . وأصبح يرى من صادقه بالأمس يعاديه اليوم ومن أخلص له ينفر منه .

هنا لم يجد الرجل بدا من الجهر بدعوته وإعلانها على رءوس الإشهاد حيث أصبح لا يخشى فى الحق الذى يدعو إليه لومة لائم . وكيف يخشى شيئا وهو مؤمن بأنه الذى يدعو لدينه وهو الغيور على رسالة الإسلام وهو وحده الذى يحميه وينصره . لذلك كان يدعو جهارا نهارا : ويقف داعية فى كل مكان حتى ديوان وزارته وبلغت به الحمية للدعوة إن كان يندس فى الأوساط جميعها . وهنا رأى واجبا عليه أن يترك كرسى الوزارة ليتفرغ لدعوته السامية التى أبى إلا أن يموت فى سبيلها ويقدم لها كل ما يملك من نفس ونفيس وكنت تراه يقول فى ختام كل كلمة من كلمات دعوته متمشيا أيضا فى ذلك على سنه الرسول الأعظم إلا قد بلغت اللهم فاشهد) .

هنا ثار عليه حثا له الشعب الغافل وأخذ الذين كانوا يصادقونه بالأمس ويتظاهرون له بالأخوة يدبرون المؤامرات على قتل ذلك الرجل العظيم وبلغ بهم الحقد الأعمى والتعصب الممقوت إلى إغراء بعض المجرمين على ارتكاب تلك الجريمة الشنعاء .

وقد قتل فعلا وقضى نحبه شهيدا فى سبيل الدعوة لدين الإسلام وبقتله

خسرت روما رجلا من رجالها الأفذاذ بل خسرت أوربا بأسرها ذلك الداعية الذى عرف واجبه نحو ربه ودينه .

أما اليوم ونحن ندعو بوجوب التمسك بدين الله الإسلام ذلك الدين القيم فلا يرهقنا شيء لأنها دعوة موجهه إلى قوم قد صقلتهم الأرض التى مروا بها والتى جملته يتنبه ويفيق من غفلته ويتجه إلى الطريق الذى يجد فيه الخلاص وما الخلاص إلا فى دين الإسلام .

إن الدين الإسلامى وحده هو الذى ينشلنا من الهاوية التى هوينا إلى قرارها . أما الأديان التى نشأنا عليها وربينا فى أحضانها فلا يمكن بأى حال ولا تستطيع مطلقا أن تنير لنا السبيل فى المستقبل القريب فيا أبناء الغرب جميعا إنى أدعوكم إلى الإسلام . أدعوكم إلى الإنضواء تحت لواء دين الله . أدعوكم إلى التمسك بشريعته . هذه دعوتى التى أوجهها اليوم إلى كل من يخالف دين الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها فلا منفذ ولا مخرج للعالم أجمع بغير الرجوع إلى دين الإسلام دين الله القويم .

ليس بعد الكفر ذنب

وتكلم أيضا المستشرق (رابى دافيد) فى كتابه حضارة الشرق عن الدعاوى التى تقوم منتشرة باسم الإسلام منتحلة شخصية المسلمين الغيورين راميا إياهم بالكفر والإلحاد والشرك بالله . سيما الدعاوى المماثلة (للقاديانية والبهائيه واللادينية وها نحن نقـــدم بعض هذا الفصل مترجمـــا .

إن ما يشغلنا اليوم ويشغل الرأى العام فى غالب بلاد العالم والغرب بنوع خاص . هى تلك المشاكل العويصة التى تثيرها دعوة (اللادينية) ولعمرى لا أدرى ما هو كنه هذه النزعة الشيطانية وأمثالها من نزعات الشيطان التى يترنم بها دعاة الباطل ومروجو الخرافات من هؤلاء الذين لا هم لهم فى الحياة الدنيا غير تشويه الحقائق وقلبها رأسا على عقب .

إن هؤلاء اللادينين يحاولون بنشر أضاليلهم هذه أن يعبثوا بالضمائر الحرة التى فطرت على دين هو أعظم الأديان قاطبة ولقد غاب عنهم أن المسلمين فى منعة فالإسلام رائدهم والقرآن أمامهم والله من فوق رءوسهم يحميهم وينصرهم ولا خوف عليهم هذا وإن كنت أتلمس العذر لمن يتصدر لهذه الدعوة المفضوحة فلا عذر إلا أنه غفل عن وجود دين هو أحب إلى الله من الأديان جميعا ألا وهو الإسلام ذلك الدين العظيم ولو أن الباعث لهم على نشر خرافاتهم هذه هو عدم قدرتهم على فهم دينهم الذى هو دين المسيح عليه السلام . . ؟ وهربهم منه ويأسهم من إصلاحه وإصلاح الداعين له وعدم اتفاقه مع روحهم الثائرة على ركودة بعد أن عبث به العابثون من ذوى الأغراض الدنيئة والنفوس الوضيعة حتى أصبح دينا جغرافيا فقط خياليا لا يصلح مطلقا لإصلاح حياة فرد من الافراد ولا جماعة من الجماعات ، فمن هنا أرى دعاة مذهب (اللادينية) قد يكونون معذورين من هذه الناحية فقط . ولكنهم من نواحى أخرى متخبطون لالتجائهم إلى مثل هذه الخزعبلات . وعدم تفكيرهم فى الدين العظيم الذى يضمن لهم وللعالم أجمع سعادة سرمدية أبدية لا توازيها سعادة ولا تماثلها حرية . . .

إن هذه الأفكار الشاذة وتلك الهواجس الشيطانية المزعجة التى هى من صنع إبليس اللعين الذى يستغل فى هؤلاء المتخبطين ضعفهم وعدم تفكرهم ويدفعهم إلى التفنن فى إخراج مثل هذه الزوبعة الشيطانية فى صورة مغرية قوامها عدم صلاحية دينهم الذى هم عليه وأساسها عدم تفهمهم لدين الإسلام الذى لا ملجأ لهم إلا إليه ولا مخرج لهم إلا إلى العمل بتعاليمه .

إن المصيبة الكبرى والداهية الدهياء أنهم غافلون عن أصول الدين . مدعون أنهم دعاة إصلاح وتنظيم غير فاهمين أنهم يسيرون فى ظلام يخيم فوق رءوسهم وشقاوة تنتظرهم وعذاب أليم معد لهم وعد الله به الكافرون الذين يحيدون عن دينه . . . بؤساء . أولئك الذين لا يعرفون فى هذه الحياة غير زخرفها غير مفكرين فى غايتها . عابثين بنهايتها . وخاتمتها المسممة الدنيئة وأمثالها من المظاهر الفارغة التى لا يمكن لأحد من الناس مهما كان ضعيفا دينا أن يغرى بجمالها أو يفتن بزخرفها .... مهما افتن فى إخراجها فى صورة مغرية جزابة سيما أن هذه الدعوة لم يكن فيها مثقال ذرة من الفائدة التى ترجى وتعود على نفس هؤلاء الداعين الجهلاء بغير الفشل الذريع والخسران المبين . . . .

أشقياء هؤلاء الذين يأخذون بهذه الدعوة ويتأثرون بهذه التعاليم بغير وعى ولا تفكر ولا روية هو داء يتفشى وجرثومة تسرى وسوسة تنخر، جسم هذه الأمم الحائرة التى لم تهتد بعد إلى دين الإسلام الذى يكفل لأمم الأرض جميعا السعادة والهناءة والحياة الصحيحة الفاضلة لا حياة الأسر والعبودية التى وقعت فيها تلك الأمم المسكينة البائسة الحائرة التى تطرق أبوابا موصدة لا يستطيعون أن يلتمسوا منها مخرجا ، فمثلهم فى ذلك كمثل المستجير من الرمضاء بالنار .

هذا ولكنى أشعر بالأمل الكبير فى رجوع هؤلاء المساكين الذين يقعون فى شراك الداعين إلى هذا المذهب الشيطانى المزعج الا دينى .

إنى أريد أن أفهم من هـــذه الفكرة الحقيرة معنى أن كان هناك لها معنى . أريد أن أعرف ذلك الذى أثارها فى النفوس الحائرة وهذا الذى تصدى لنشرها بين ذوى العقول الصغيرة التائهة أريد أن أعرفه لأحاسبه وأناقشه ، وإن كان من الذين طمس الله على قلوبهم وأبصارهم وأضلهم عن سبيله ...

إن هذه الدعوة المشئومة التي لم تخلق في الواقع إلا لايجاد جو من الشبهات والتشكك في العقائد البريئة التي خلقها الله على الفطرة حيث سبيلها الإسلام وقد غاب عن دعاة السوء المأجورين الذين لا أخلاق لهم .

إن هذه العقول الفطرية التي يحاولون تضليلها والعبث بوجودها . قد خلقها الله تعالى على استعداد كامل لقبول دين الله الإسلام ذلك الدين القيم ولكني اعتقد اعتقاد الجازم بعد ماتخبطت كثيراً أنا أيضاً في مثل هذه الدعاوى وبعد أن أرشدتني بحوثي العلمية والعملية . عرفت أخيراً بأن كل دعوة تقوم بجانب الإسلام العظيم دعوة فارغة أما مانشاهده من التبجح في ترويج مثل هذه الدعوات ، وقد كثرت وقد انتشرت في بقاع الأرض وأصبح من الهين على كل مغرور مخدوع أن يقوم بدعوة جديدة أو بعبارة أوضح لعبة جديدة يظهر على حسابها ولا يحرم من ذوى الأغراض من يمشون خلفه ويدعون لفكرته ونحن نشهد طوائف متعددة وكلها تدعى العمل للدين والإسلام والدين والإسلام أبعد مايكون عنهم فهناك مثلا دعوة البلهاء الذين يسموزن أنفسهم (بالأحمدية) أو القاديانية التي كان يتزعمها المدعو غلام أحمد . . . . الذي يدعي النبوة وهو من المأجورين الذين تحركهم يد الإنجليز وهم الذين بعثوه وأظهروه لأغراض استعمارية بحته وإن الإنجليز إلى يومنا هذا هم الذين يتولون الإنفاق على هذه الطائفة في جميع الأقطار الموجودة فيها ودليلى على ذلك واضح وهو أن هذه الطائفة لم توجد في غير البلاد المستعمرة للإنجليز بنوع خاص . . .

وهناك أيضاً دعوة البهائية وهي دعوة لافرق بينها وبين دعوة القاديانية وأنا أتحدى من يقول غير ذلك والبهائية والقاديانية هما دعوة واحدة بأسمين فإن كان هناك فارق فني الإسم فقط أما العنصر فهو واحد والروح واحدة . . . فكلاهما ملحد وكلاهما بعيد عن الحق والصواب .

وهناك الكثير جداً من الدعوات المماثلة لهذه ، والتى تنتشر وتظهر بدافعين . أما الدافع الأول فهو واقع الاستعمار . والدافع الثانى فهو واقع الجهل وكل هذه الدعاوى لم تكن إلا مكابرة مفضوحة تتخللها مغالطات مكشوفة تدل دلالة واضحة على أفكارهم المحدوده القاصرة التى تظهر نفوسهم فى أجلى صورة من صور الجهل المخيف .

هذه الدعاوى جميعها دعاوى قد يكون لها من الخطورة الشىء الكثير . .

ولكن خطورتها لاتعد الملحدين الذين لا ينتفع بهم الدين ولا يعوذهم الوطن فى قليل أو كثير أما القوم المؤمنون فلا خوف عليهم ولا خطورة من هذه الدعاوى على نفوسهم فهؤلاء قوم قد هداهم الله بهدايته وأرشدهم إلى الطريق المستقيم ووعدهم النصر المبين وأعتقد أن هذه الدعاوى وأمثالها من النحل المخرفة لم تكن فى الواقع أكثر من ذوبعة فى فنجان لاتلبث حتى تزول حيث لا بقاء للباطل ولا انتصار للضلال ولا نجاح للكفران ...

إن الدين الإسلامى . هذا الدين الاعظم الذى لم يجىء إلا ليقضى على مثل هذه الخرافات وأمثالها من الخزعبلات التى لافائدة ترجى من ورائها . اللهم غير التشكيك فى العقائد الفطرية ، هو الدين الوحيد الذى يجب أن يتمسك به العالم أجمع . ولا سيما الذين يدعون العلم ويفرضونه على أنفسهم فهؤلاء الناس أولى بالإنضواء تحت لواء الإسلام لانه ليس هناك عالم أومتعلم تخونة بحوثه ومطالعته بحيث تبعده عن الحق . لان العلم والبحث والإطلاع إذا لم تفد صاحبها وترشده إلى الطريق القويم . فلا خير فيها ولا بقاء لها وحاشا أن يكون العلم عدوا لصاحبه ، أو غداراً بمن يتصل به ويتبعه بحق .

إن الدين الإسلامى دين عقل وفهم وتبصر لادين مغالطة وقهر . فإذا تبصر العالم مافى الإسلام من قوانين اصلاحية لما وقع أبداً فى هذا الضلال

المبين . إذا تعقل الانسان قليلا وفكر فى أمر هذا الدين العظيم . لعرف ما هو الدين ولوقف على حقيقة الاسلام وما فيه من مزايا ومنافع كثيرة ولعرف حقيقة هذا الدين العظيم الذى يهدى إلى الصواب ويرشد إلى طريق الرشاد ويضمن للإنسان حياة أبدية ممتازة تعلو فوق كل حياة فلا بهائية ولا قاديانيه ولا مادية ولكنها النظم الاسلامية .

دعوا البحث فى هذه الاشياء التى تضلكم عن الدين وتجعلكم تحيدون عنه ، وتفرغوا قليلا للبحث فى أمر الاسلام هذا الدين القوى النافع فى الدنيا والنافع فى الآخرة لا تشغلوا أنفسكم بهذه الهواجس الضارة المريبة ولا تقولوا أنكم توصلتم إلى هذه العقيدة عن طريق العلم أو البحث فالعلم والبحث أرفع من أن يسوقكم إلى الضلال لان العلم إن كان هذا شأنه فأنا أول من يبرأ منه وينبذه ويعلن اعتزاله إلى الابد فعندها تصبح حياة الجهل والبساطة أرفع بكثير من حياة العلم والبحث ،

أعطوا الاسلام شطراً ولو قليلا مما أعطيتم غيره إن كنتم صادقين . حتى تعرفوا كيف تصلون سريعاً وفى أقرب وقت إلى نتيجة مرضية صادقة ترضاها نفوسكم وتهتدى لها أرواحكم وتطمئن إليها قلوبكم الحائرة ولا تقولوا أرشدنا العلم إلى الضلال لان العلم حاشاه أن يصل بصاحبه إلى الضلال فالعلم نور والنور مقتبس من عند الله ولا تقولوا : بحثنا فاهتدينا بطريق البحث إلى هذا الذى ندعوا إليه فالبحث الصحيح لا يهدى إلى طريق غير مستقيم إلا إذا كان الباحث به خلط فى العقل .

دعوا هذا وتفرغوا قليلا للبحث البرىء والعلم الصحيح وكونوا بعد ذلك آمنين فى دراسة دين الاسلام وجاهدوا أنفسكم قليلا فى تعرف الاسلام وفهمه حتى يهديكم الله إليه فتصبحوا من عباده الصادقين ولتكونوا بعد ذلك من الذين استهانوا بالحياة والمال والدنيا بكل مظاهرها فى سبيل الله وحده لا شريك له (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) .

سادتى الغربيين أفيقوا من غفلتكم . انهضوا من سباتكم انظروا إلى ما يراد بكم . فالوقت لا هزل فيه ولا لعب . ولكنه جد خطير .

لا تغفلوا ولا تتغافلوا (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) .

واعلموا أن مدافعكم وذخيرتكم وطائراتكم وجيوشكم وماتملكون من قوة مادية حربية كانت أوالكترونية لا تنفعكم من الله شيئاً .

« المسلمون فى صلاتهم »

وهنا يتحدث الكاتب عن الصلوات الخمس التى فرضها الله على المسلمون وما فيها من روعة وجمال وصلة روحية بالله واعترافا بوحدانيته ومناجاة له جل شأنه فى كل يوم . كما تكلم فيه عن صلاة غير المسلمين متحدياً إياهم ذاكراً بعض المآسى التى تقع فى معابدهم وما يقصد من الاجتماع الاسبوعى لهم ، وهانحن نقتطف منه ما يعود علينا بالفائدة .

عندما يصطف المسلمون صفوفا منتظمة لا عوج فيها تأهبا لأداء فريضة الله تعالى التى فرضها على عباده وليكونوا دائمى الاتصال بجلالته مناجين له هاتفين باسمه مجردين أنفسهم من مشاغل هذه الدنيا الفارغة غير مفكرين ألا فيه جل شأنه .

تجد المسلمين عندما يقومون للصلاة موحدين كلمتهم منظمين صفوفهم غير مبالين بهذه العوالم ولا حاسبين لها حسابا هذه الحالة كفيله بأن تخيف العالم بأسره وتوجد فى قلبه الرعب والقلق وإن كان هناك من يرهبه الحديد والنار فهذا النظام الالهى وحده كفيل بأن يعيدة إلى رشده ويرجع اليه صوابه اذا ما تبصر فى أمر دين الاسلام الذى يدفعه إلى كلمة التوحيد الله أكبر الله أكبر . . .

المسلمون فى صلاتهم صفوف كصفوف الملائكة تجدهم يسجدون ويركعون فى هدوء شامل وتفكر فى الله وانشغال بالعالم الآخر عالم الحساب والخلود .. تراهم وهم فى هذه الحالة الروحية فلا تسمع لهم غوغاء ولا تنظر فى صفوفهم اعوجاجا كالبنيان المرصوص لا حركة ولا إشارة ولو انقلبت الدنيا رأسا على عقب أو تبدلت السماء وزلزلت الأرض ودكت الجبال دكا .. (إن الله لا ينظر إلى الصف الاعوج) .

وكيف يتحرجون أو يخافون شيئاً أو يخشون وعيدا وهم ماثلون بين يدى الله تعالى آمنين مطمئنين لإتصالهم المباشر بالرب الذى بيده تسخير السموات والأرض قائلين فى خشوع وسكينة وهدوء (إياك نعبد وإياك نستعين) .

لقد فرض الله على المسلمين صلوات خمس فى كل يوم يؤدونها فى بيوت الله وفى أى مكان كان فهى مقبولة متى توفرت فيها شروط الإخلاص ولما فى هذة الصلاة من العوامل الراجحة التى يحصل عليها مؤديها ومن الفوائد التى تعود عليه روحيا وجسمانيا ونفسيا نجد المسلم يتفانى فى دينه حتى يستهين بكل عزيز عليه غير مبال بشىء . يقدم نفسه وماله وأبنائه ويستبيح دمه وما يملك ويهب الجميع لله (هذا ما يجعل الغرب بأسره يقف حائرا مكتوف اليدين) أمام معنوية وجلال هذه الصلاة الرفيعة القدر التى فرضها دين الإسلام على أبنائه المسلمين .

ولا أريد أن أتعرض هنا للأديان الأخرى لاتحدث عن صلاتها وعباداتها . ومدى غفلة القائمين بأمرها وعبثهم بشروطها لكنى أرى نفسى مضطرا أن أتكلم هنا عن الصلوات التى يقومون بها فى كنائسهم المقامة فى كل مكان .

فالصلاة فى الأديان الأخرى إن وجد لها أثر فهى أسبوعية ؟ وهذا

شيء يعرفه الجميع . ويا ليت هذه الصلاة الاسبوعية تكون خالية من الارجاس ولكنها لم تكن فى الغالب إلا لمآرب تدفع بهم إلى الإجتماع فى يوم معين من الأسبوع لا يجتمعون فيه إلا لما نشاهده فى جميع المعابد من مقابلات . فهم لا يحضرون إلى المعبد لأداء فريضة فرضها عليهم دينهم ولا بقصد عبادة الله الذى خلقهم ... كلا كلا بل هناك .

هناك ترى العجب العجاب هناك ملتقى الأحبة ومجمع الخلان . وكأن المعابد لم تقم إلا لهذا الغرض .

ولا أريد أن أطيل فى ذكر هذه الأمور التى لا تعود بفائدة ما على المجتمع وأنا شخصيا لا أعتقد بأن هناك فردا من الناس يجهل هذه الأشياء التى تكون فى المعابد غير المسلمة .

ولكننى أريد هنا أن أقول بأن الدين الإسلامى قد فرض على أبنائه صلوات خمسا فى كل يوم لأنه دين إصلاح وعباده وقوة روحية ولأن صلاة المسلمين لم تكن للهو واللعب بل هى الصلاة التى تمكن المسلم من الحصول على قوة ونشاط فى الجسم والروح . هى صلاة تضمن للفرد والجماعة السعادة فى الحياة وبعد الممات لأنها لله والله وحده هو الذى فرضها .

فإذا نظرت إلى المسلم الذى يحافظ على أداء هذه الصلوات الخمس لوجدته فى حالة نشاط وقوة معنوية تجده بعيدا عن الأمراض : لا يشكو ألما أو ضعفا ولا يشعر بفتور طاهرا صادقا علمه دينه الإخلاص والصدق والأمانة والشرف والكرامة وهو لهذا لا يخاف أحدا ولكن يخافه الجميع .

وفى الختام أقول أن فى الصلاة فوائد كثيرة جسمية وفوائد روحية فيها يشب الجسم على القوة والنشاط ويستشفى الروح لليقظه والعمل وتدفع

بالإنسان إلى الجهاد والتضحية والبذل فى سبيل الله . وكفى المسلمين فخرا بصلاتهم . ومثولهم بين يدى الله سبحانه وتعالى فى اليوم الواحـــد خمس مرات .

ساعة مع المستشرق الإيطالى

« الأستاذ أنريكوجا ريبالدى »

تخلفت عن حضور الجلسة الثانية من جلسات مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٣٥ ويشهد الله أنى لم أتخلف عن هذه الجلسة طلبا للراحة التى لم أتعودها منذ خمس سنوات أى منذ بدأت حياتى العملية العامة ، ولم يكن تخلفى سعيا منى وراء الراحة كشبابنا الذى يمرح ويسرح فى الأعياد ولـكن نفسى لم تعرف للراحة سبيلا وكأنها لم تـكن من نصيبها .

أخبرت بوصول المستشرق الإيطالى (انريكوجاريبالدى) . ذلك الرجل المسلم الذى طالما أعجبت ببحوثه الدينية وشعوره الإسلامى . منذ كنت طالبا (بكلية ليوناردو الإيطالية) وكنت حينذاك فى شغف عظيم لرؤيته ولـكن ظروفى الدراسية كانت دائما تحول بين ذلك . لذلك لم يسعنى عندما أخبرت بوجوده فى القاهرة غير الإسراع إليه لآخذ منه حديثا إسلاميا . توجهت إليه فى فندق (شيبرد) وطلبت مقابلته وبعد برهة قصيرة حضر الرجل فوجدته إنسانا كاملا تبدو عليه آثار الإيمان والإخلاص ونور الإسلام . وبعد أن تحدثت معه قليلا وعرفته بمهمتى التى حضرت لأجلها . تلألأ وجهه بالبشر والفرح وأظهر الإرتياح لطلبى وهنا انتحينا مكانا خاصا حيث بدأت معه الحديث الآتى :

— يسمح سيدى ان يشرح لى شعوره نحو الإسلام وكيف آمن به .

— لا تقل يا بنى شعورى نحو الإسلام وكيف آمنت به ولا تسل عن شخصى الضعيف فأنا واحد من هؤلاء الغربيين الذين درسوا الإسلام دراسة بريئة واعيه عن حكمة وفهم ، ولكن يحسن أن تسأل عن الإنقلاب الخطير الذى سيحدثه الإسلام فى العالم الذى ترقبه اليوم أوربا بأسرها حيث أن الدين الإسلامى أصبح هو الشاغل الأول لها .

— معذرة إذا فما هو الشعور الأوربى نحو الإسلام وما هى علائم ذلك الإنقلاب المنتظر والذى سيحدثه الإسلام .

— الحق أنى لا أدرى بأى شكل أصبح أبناء الغرب مقبلين بشكل كان غير منتظر على دراسة الإسلام لاسيما تاريخ رسوله الأمين (محمد بن عبدالله) ذلك الرسول العربى وهذه الظاهره نكاد نلمس انتاجها الفعلى وانتشارها السريع حتى أصبح الجميع متاكدين تماما من حدوث ذلك الانقلاب الذى سيحدثه الإسلام دين الغرب الجديد .

— هل يستطيع الأوروبيون أن يتفهموا الإسلام على حقيقته حتى يتمكنوا من الإهتداء بنوره والإيمان بتعاليمه .

— لا تحاول مغالطتى بهذه الأسئلة فأنا من أعلم أبناء الغرب بأمر هذا الدين فى بلادنا الغربية وأنت تعلم أن الإسلام بدأ غريباً وسينتهى غريباً كما بدء .

— أجل أعرف ذلك جيداً ولكن أيمكن للغربيون أن يحافظوا على أصول الإسلام إذا ما وصل إليهم يوماً ما

— أتعرف بأى شكل سيعود الإسلام قوياً . المعنى الذى أفهمه هو أن الاسلام وسيصبح ديناً عالميا ترفرف رايته خفاقة فوق العالمين ليأخذ دوراً جديداً هو أقرب الشبه بالدور الذى أجتازه عند مبدئه ،

— إذا ما معنى الغربة التى ينتهى إليها الإسلام .

الحقيقة الواضحة هنا هى أن يصبح الدين الإسلامى (غريبا كما بدأ) بمعنى أن يكون بعيدا عن أبنائه الحاليين الذين أعرضوا عنه فيكون من الطبيعى أن يعرض عنهم أيضاً لأننا أصبحنا بكل أسف نرى المسلمين مسلمين شكلا فقط إذ أنهم أصبحوا يستهزئون بأمر دينهم ويستهينون بكل مظاهره المقدسة .

— كيف يكون ذلك وهنا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخير فى وفى أمتى إلى يوم القيامة) .

— أمة محمد عليه السلام لم تكن أمة جغرافية فقط ولكنها امة عملية مؤمنة . ولا تنس قوله : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) فكيف لا يكون الخير موجودا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأبد وستكون كل الأمة العربية داخلة فى نطاق الإسلام .

— إذا ما الذى تراه فى هذه البلاد الإسلامية ...

نعم المسلمون يستهترون بأمر دينهم ويعبثون بتعاليمه القويمة وبرغم ذلك يزدهر ويؤتى ثماره من نواحى أخرى ما كان لأحد أن يصدق أن تشرق شمس الإسلام فى أوربا التى عاشت حياتها بعيدة عن الإسلام محاربة له وهى التى لبثت حينا من الدهر وهى عابثة بتعاليمه .

وأريد أن أقول لك بعبارة أوضح إن ما نشاهده اليوم فى البلاد الإسلامية يدل على أن الإســـلام لا محالة متنقل منكم إلينا نحن الغرباء عنه وإنى أجـــد نفسى سعيدا بأن أجيبك على كل ما تطلب بلا توقف حيث نبغى من حديثنا الوصول إلى الحقيقة وسيكون مستقبل الاسلام فى الغرب باهرا وسيكون أكثر منه فى الشرق الآن ولهذا أرجو

أن أجد الجواب على هذه النقط الآتية :

١ — هل رجال الدين فيكم يؤدون عملهم بأمانة وإخلاص .

٢ — وهل يقومون بنشر الدعوة التى هم مطالبون بها بين يدى الله .

٣ — وهل هم يعملون بما يعلمون حقاً .

٤ — وحكوماتكم على اختلاف مذاهبها ألم تكن حكومات إسلامية ودستوركم المصرى ألم ينص على أن الدين الرسمى للدولة هو الاسلام .

إنكم يا بنى أصبحتم خالين من الفكرة الدينية غير حاسبين حساباً لإسلامكم ولا أدرى ماهو الشاغل الذى شغلكم عن أمر دينكم وليس أدل على تهاونكم من حالة المسلمين فى مصر الإسلامية .

مصر هذه التى نعدها ويعدها العالم أجمع مركز الدائرة ومعقل الإسلام الحصين ولا تنس أنه من حق كرجل مسلم آمن بدين محمد . أن أقف على حالة المسلمين فى بلاد الإسلام سيما وأن هذه الاحوال لها من الخطورة الشىء الكثير ، ومع هذا فنحن نعرف عن الإسلام فى بلاده الشىء الكثير أخبرنى بربك بأى حق تستبيح دولة كهذه الدولة المصرية الإسلامية أشياء يحرمها الدين .

ألم تبح عندكم بيع الخمور علناً . . ؟

ألم تبح بلادكم الدعارة الهدامة لنظام الدول جهاراً . . ؟

لقد حطت الأخلاق فى بلادكم وشوهت سيادتكم فمثلكم فى حياتكم هذه كمثل التاجر الأبله الذى يضيع الجوهر ويحافظ على القشور وأخشى أن أرميكم بالعبث فى كل شىء لأنكم ماعرفتم قيمة دينكم الإسلام .

— هل غاب عن سيدى الأستاذ أن كل هذه الموبقات لم تصل إلينا إلا عن

طريق الغرب فهى جرثومة غربية تفشت فى البلاد الشرقية .

الغرب . الغرب لا تقل يا عزيزى الغرب فالغرب اليوم ينتحر خلقياً ويقضى نحبه وهو يحاول التخلص من هذه الحياة الإباحية ويبحث عن المخلص . ولذلك فالغرب يستنكر كل هذه المخزيات . ويعود إلى رشده.

— أو لم يعلم سيدى بأن جل الذين يتجرون هنا فى بلادنا والبلاد الإسلامية بالأعراض وينشرون الدعارة ويفتحون بيوت اللهو الحرام ويروجون كل ما يخالف الدين هم جميعاً من الأجانب .

من الطبيعى أن يقوم برواج كل هذه الأشياء فى بلادكم الأجانب . . . ما دام هناك امتيازات يحتمون فيها فى هذه البلاد ، لأن القارة الأوروبية تفطنت حكوماتها لخطر هذه الأشياء فهى لا تبيحها ولذلك يهاجر أهل الفجور إلى مثل بلادكم ليروجوا هذه المخازى ولا تنسى بعد ذلك بأن الجريمة رغم ذلك هى جريمتكم أنتم لأنكم أفسحتم صدوركم طويلا لهؤلاء وانخدعتم بهم وأقبلتم على معاملتهم ولو لم تشجعوهم ما أقاموا بينكم ولا وجدوا سبل الرزق الحرام ميسرة فيكم وانصرفوا عنكم .

— الامتيازات هى العقبة الكأداء فى سبيلنا وليست الامتيازات فقط ولكن هناك أشياء أخرى نقف مكتوفى الأيدى أمامها ... ؟؟

— أرى أن البلاد الأخرى التى بها الأديان الموهومة تخضع لتعاليمها وإن كانت على خطأ . والذى يدهشنى أنكم أنتم الذين أنعم الله عليكم بدين هو أعظم الأديان قاطبة وأكثرها تعقلا . تخرجون على تعاليمه وتجهرون بعدائه ولا أدرى بأى شكل تغفل حكومتكم أمر هذا الدين ويتغافل زعماؤكم وقادتكم عن ذلك الدين العظيم الذى له المكانة الرفيعه فى قلوبنا خصوصاً وفى بلادكم الأزهر معقل العلم والعرفان .

ـــ وعلى من تقع مسئولية ذلك؟

ـــ عليكم تقع المسئولية . فالحكومة مسئولة والزعامة مسئولة . والشعب بوجه عام مسئول والشباب بوجه خاص عليه المسئولية الكبرى . أتدرى لماذا أخص الشباب بالمسئولية الكبرى لأن الشباب اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها هو عدة الدولة وآمالها وهو المصلح الأمين لها . لأنه هو المستقبل أما الشيوخ فهم الراحلون ..

ـــ يسمح سيدى بتحديد هذه المسئوليات ويشرح كل منها على حده .؟

ـــ نعم أحدد لك هذه المسئوليات وإن كانت خطيرة بالنسبة لى كضيف عندكم .

ـــ فأما مسئولية الحكومة فهى أن تقف حائلا دون ما يخالف أحكام الإسلام بقدر الإمكان ولكنها لاتفعل ذلك وتتغافل عنه .

ومن واجب الزعيم أن يكون هو المرشد الأمين لأمته التى يتزعمها ويقودها الزعيم أو كما أفهمه أنا هو الفرد الذى تنتقيه الأمة حيث توفرت شروط صلاحيته لرياستها وإرشادها إلى الطريق السوى وهو الذى يكون الحارس الأمين لدينها وخلقها وهو الذى يرسم لها خطة الحياة العامة وإن فهم الزعيم أن زعامته فى ناحية واحدة كالسياسية مثلا مع إهمال بقية النواحى فهو فهم خاطىء إذ أن الزعيم هو الذى يقود الشعب سياسياً وأخلاقياً واجتماعياً وفى كل مظاهر الحياة .

أما الشباب فهو العدة التى بها يستيقظ العاقل ويتنبه النائم لان الشباب هو الحركة الدائمة وحدها ومن هنا وجب أن يتعاون الشباب مع الشعب وأن يستيقظ ويرسم لنفسه خطتها التى يجب أن يسير عليها ويقدر المسئولية التى

تقع على عاتقه فينفخ فى روح الامة من روحه ما يجعلها قوية من قوته فتية من فتوته وحينئذ يكون قد قام بواجبه أما بغير ذلك فلا .

« الإسلام يتحدى الأديان »

وتحدث المستشرق (رايتى دافيد) فى كتابه حديثاً كان له فى نفسى روعة وجالا عند مطالعته للمرة الاولى (الإسلام يتحدى الاديان ورسوله يفاخر الرسل) هذا هو العنوان الذى اختاره ليكتب تحته عن عدالة الإسلام وصلاحية أحكامه لكل زمان ومكان كما تحدث فى قسمه الثانى عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم فخر الرسل .

* * *

ما كنت بهازل عندما صرحت أكثر من مرة بصلاحية الآسلام لكل زمان ومكان وما كنت بماجن يوم أن قلت بأن الدين الإسلامى هو الدين الاول الذى جاء لإسعاد الإنسان وإصلاح البشر على الإطلاق وما كان بى جنة عندما صرحت كثيراً من فوق منابر التبشير قائلا بأن الاديان التى تخالف الإسلام فى كثير أو قليل لاتصلح مطلقاً للانسان وماهى إلا تجارب قد وضعت فى المبدأ تمهيداً لدين الله الإسلام ، ولقد كنت مصيباً عندما قلت بأن الإسلام هو الدين الذى يجب أن يعتنقه الغرب بأسره ويعمل بتعاليمه الشرق كله إذا أراد الخلاص من الهوة السحيقة التى تردوا فيها . ولم أكن مخطئاً اليوم وأنا أقول بكل ما أوتيت من قوة بأن الإسلام يتحدى الاديان كلها . فهو حرب على الإباحية واللادينية والإلحاد .

أجل الإسلام يتحدى ... ومنذ الذى لا يستطيع أن يدرك مدى تحدى الإسلام للاديان جميعاً . . .

وهل هناك من ينكر على الإسلام . هذا الدين الفطرى الذى لا يستطيع دين من الأديان أن يقوم بعمليتى الإصلاح والإنقاذ التى جاء بها الإسلام . وهل استطاع رسول من الرسل أن يؤدى المهمة التى أرسل لأجلها رسول الإسلام . . . هذه المهمة الجلية النور التى ألقيت على عاتق هذا الرسول العربى . الذى يحق له أن يفاخر الرسل جميعاً بأعماله ومعجزاته ...

هل استطاع دين من الأديان أن يقوم بأداء ما أداه الإسلام للبشرية والإنسانية وهو عمل جليل الشأن عظيم القدر شاق التنفيذ . أقل ما فيه إصلاح البشر على الاطلاق وتوجيه الانسان إلى الطريق القويم .

الاسلام الذى دانت له الرقاب وخضعت لعدالته القياصرة وفتحت أمامه الممالك يتحدى الأديان جميعاً أن يقول أحد دعاتها إنها استطاعت أن تأتى بأى توجيه إصلاحى للبشر أو أن يصرح بأنها جاءت بشىء ينفع الانسان فى إحدى الحياتين .

نعم للاسلام أن يتحدى الأديان جميعاً ولا يكون تحديه إياها لنقص أوجده الله فيها أو لأن هناك من يعمل بتعاليمها وهى غير كاملة أو يتعلق بأهدافها ويعبث بها ويبدل ويغير مبادئها بحسب أهواء من تصدر لزعامتها ومن تقدم لقيادتها . ولم يكن تحدى الاسلام لها تفاخراً منه عليها لأنه جاء ناسخاً لها أو مكملا لنظمها أو لأنه خاتم لرسالة الله العظيم التى أودعها ممثلة فى شخص رسول الاسلام الذى جاء ولا رسول بعده .

ولكن الاسلام يتحدى الأديان فعلا وعلانية . للطبيعة التى استطاعت أن تلعب معها دوراً شيطانياً تعبث فيه بمبادئها حيث تمكن الأغراض والأهواء التى تظهر جلية فيما آلت إليه تلك الأديان اليوم من حالة أسقطت مكانتها بين البشر حتى خسرت مركزها الطبيعى وأصبحت غير صالحة لنظام الانسان وماهى اليوم بالقادرة على التمشى مع روح البشر والانسانية .

روح البشر والانسانية هذه الروح العظيمة التى نظرت منذ الخليقة على أساس متين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث لا قدرة للباطل عليها ولا سبيل للأهواء إليها ولا طريق للأغراض إلى تعاليمها القويمة المنيعة .

ولكن الاسلام يتحدى الأديان تحدياً طبيعياً لأنه هو الدين الصحيح الذى استطاع أن يسير بدعوته وهى كاملة غير ناقصة ولأنه هو الدين الذى استطاع أن يحافظ على وحدته متماسكة متآزرة غير متفرقة وهو الدين الذى تمكن من حماية رسالته فى قلب الزوابع التى قام فى وسطها وهو الدين الذى تغلب على المطامع فقضى على الأغراض التى نشرها الجهل والكفر وهو الدين الذى وجد فى جو تملأه المطامع والشهوات . وأخيراً هو الدين الحق الذى استطاع أن يرد الذين قاموا فى وجهه ووقفوا فى سبيله (على أعقابهم خاسرين) وذلك رغم الجهود الجبارة التى بذلت ولم تزل تبذل ورغم الجهاد المتواصل الذى ينظمه الجهلاء من ذوى الأغراض السافلة والنفوس الوضيعة والعقول الخبيثة ، ورغم الأموال الطائلة التى رصدت ولم تزل ترصد من خزائن الدول المتخبطة الحائرة لمحاربته وصده عن سبيله .

ولكن الله هو الذى أوجده وهو وحده الذى ينصره ويقره ويجعل كلمته تسود العالمين هذا شأن الاسلام الذى يتحدى الأديان بلا فخر .

هذا وقد تحدث رابى دافيد عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هذا الرسول الذى استطاع أن يقيم دعوته وينتصر لرسالته ويسير بكتيبته حتى وصل إلى غايته المنشودة وها هى روحه الشريفة الطاهرة ترفرف علينا لتذكرنا فى كل حين بما يجب علينا نحو الاسلام . هذه الروح التى ما عرفت يوماً هوادة فى الحق ولا ليناً فى الدعوة إليه . . .

هذا هو رسول الاسلام منقذ الانسانية الذى أرشدنا التاريخ والكتب

السماوية عنه وليس دليلا على صدق رسالته أدل من الكوارث التى صدم بها عند قيامه بدعوته ولم تستطيع أن توقفه عن السير فى سبيله إلى الله والدعوة لاعلاء كلمته ونصرة دينه . . . رسول يستطيع أن يحافظ على كيان دعوته ويحفظها فى حصن حتى قيام الساعة بعد أن قضى على الفوارق التى جاء وهى منتشرة وأباد الخرافات التى أرسل وهى فى قلوب الناس ساكنة ومحا عبادة الأوثان التى ظهر وهى متغلغة فى المدن والقرى ، وأعطى الخلق بعد ذلك دروس الهداية التى ما اعتادوها من قبل فخلقهم خلقاً جديداً . بعد ما لبثوا يتخبطون فى دياجير الظلمات والفوضى والاباحية .

رسول يستطيع فى كل هذه الأجواء أن يسير وهو حامل رسالة الهداية والاسلام حتى جعل كلمة الله هى العليا وماعداها لا يعتد به ويحرز بذلك النصر المبين ويجعل راية الاسلام عالية خفاقة فوق العالمين بعد أن قوض بنيان الكفر والاشراك وحطم ممالك الظلم والطغيان وأباد قياصرة الشيطان . رسول هذا شأنه وهذه سجاياه لهو جدير بأن يرفع رأسه عالياً ليفاخر الرسل والمصلحين بأعماله وماجاء به من تعاليم وما استطاع أن يؤديه للانسانية والبشرية من عوامل الاسعاد . وما وضعه للناس كافة من أسس السلامة والانقاذ . فلا جرم أن يكون لقبه فى الغرب اليوم (محمد منقذ الانسانية) .

هذا هو الرسول الأعظم الذى جاء بدين الاسلام . هذا الدين الحكيم الذى يقرر فى دستور عدالته هذا المبدأ السامى (لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) . وهو الدين الحق الذى تنادى تعاليمه السامية (النار لمن عصانى وإن كان شريفاً قرشياً والجنة لمن أطاعنى وإن كان عبداً حبشياً) .

ليت شعرى ألم يكن هذا هو النظام الحق الذى يجب أن يسود العالمين ألم يكن هذا هو دستور الاسلام العادل الخالد الذى هو معجزة الأولين

ومفخرة الآخرين أى دستور وضعى وأى قانون أرضى يستطيع أن يدرك هذه المبادىء المقدسة ، وهذه العدالة المحكمة — حقاً أنه لدين إلهى جاء للاصلاح العام وليكون الدين الخالد الذى جاء للناس كافة إن الاسلام لجدير بأن يكون خاتم الأديان . ورسالته خاتمة الرسالات جميعها ورسوله خاتم الرسل .

ألم يكن الاسلام هو الدين الذى قام لمراعاة الحقوق الطبيعية حيث لا يعرف للقومية أو الجنسية من سبيل .

اللهم إلا بالانصاف أينما كان .. فلأمير فيه والخفير صنوان ، والكبير والصغير زميلان والفقير والغنى أخوان وهذا المظهر تجده بروعته وجماله يتجلى فى صفوف المسلمين وهم يؤدون فرائض الصلاة .

دين الاسلام الذى قام والناس فى تنافر وبغضاء وأهل الكتاب فى حروب داخلية هنا وهناك أديان قائمة ولكنها فى واد وأهلها فى واد آخر . فجمع شمل الناس جميعاً وأعطاهم شعاراً واحداً يتعارفون به ويتحدثون باسمه ويحيون على أساسه بل ويموتون عليه ألا وهو (لا إله إلا الله محمد رسول الله) رسول الاسلام الذى أرسل بالحق بشيراً ونذيراً . واستطاع أن يهزم بأصحابه جنود الشيطان ويوقف تيارها ويصدها بإيمان ثابت ويقين قوى وقوة معنوية وروح قوية تستمد كيانها من الملأ الأعلى .

وما لبث حتى أبى الله إلا أن ينصره النصر المبين ويكتب لجنوده الغلبة فى الأرض ولدينه العزة والسلطان حتى وصل إلى أسمى غايته ونشر قانون عدالته حيث الانصاف والمساواة والحب والأخوة الصادقة . فلم يبق هناك عبداً ذليلا أو حر مغلوب .

رسول يستطيع أن يغير نظام العالم وتخضع الدول التى كان لها الصولة والجولة قبل الاسلام فى الأرض ، ان محمداً بعدالة رسالته استطاع أن

يوقفها عند حدها ويضرب بمعوله على أيدى طغياتها .. بعدالته وانصافه ومن هنا لم تستطيع تلك الدول بحديدها ونارها أن تدافع عن كيان الكفر والاشراك .

ألم يستطع رسول الاسلام أن يشتت دولتى الرومان والفرس . ولقد كانا قبل ذلك صاحبتى الصوت المسموع والكلمة النافذة ؟ أو لم يكن لهما سلطان قائم على الجور والظلم ، وقوة قائمة على قواعد التعسف والطغيان .

لى الشرف العظيم أن أسجل هذا وأنا من أصل رومانى فالحق أحق أن يتبع . حيث التاريخ الأسود الذى يحمل لنا أخبار الرومان ويقرر أنها دولة كانت فى الأرض طاغية باغية ظالمة .

أذكر هذا بلامواربة ولامواراة ، وكلى سرور لأن الرومان والفرس إذا كتب لهما النصر فى الوقت الذى قام فيه رسول الله بدعوته لرأينا اليوم مدى الذله والعبودية والمهانة وضيعة الكرامة ولكن لله فى ذلك حكم لأنه أراد أن يطهر الأرض من الأرجاس وينقذ البشرية من تلك الدكتاتورية الغشومة الطاغية .

إذا لم يكن فى الاسلام غير انتصاره على مثل هذه الدول وقضائه على ساساتها وشله حركتها ، واستبدال تلك الحياة الساقطة بذلك الاصلاح الحكيم العادل وانصافه الذى يرضاه الانسان وتسعد به البشرية ، لكفانا به فخراً وبرسوله إعجاباً ولعدالته تقديراً .

هذه بعض مزايا الاسلام العظيم وبعض مزايا رسوله الأمين .

أما أنا فأقسم حقاً بأن الاسلام إذا لم يقم بهذه العملية ، عملية التنظيف والاقصاء لكانت الانسانية اليوم تسلك طريقاً هو أكثر دماسة من ظلام العصور الوسطى لأن الظلم والاشراك والكفر كانوا متغلغلين فى هذه الدول

الجائرة وما كانوا يستطيعون أن يحكموا إلا عن هذا الطريق ولكن الله أراد وإرادة الله فوق كل إعتبار .

دين الكرامة والعزة

وكتب المستشرق (رايتى دافيد) هذا الفصل فى كتابه حضارة الشرق أيضا على أثر اعتناقه لدين الإسلام مباشرة فكان حديثه حديث عاطفة حيث تظهر روحه الوثابة ونفسه الفياضة بحب الإسلام فى قوله أنه يكتب هذا وهو لا يحسب لنفسه حسابا فى هذه الحياة الدنيا الخ .

وكيف لا يكون الإسلام دين كرامة وعزة وهو الدين الذى شغل العالم بأسره بما جاء به من تشريع غير ذى موج تطمئن له القلوب وتتقبله العقول وترتاح له النفوس لأنه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها وكيف لا يكون كذلك وشريعته تتفق والفطرة الانسانية الممزوجة بالروح المعنوية والباعثة للرجولة الكاملة والحياة الطاهرة .

هو دين الكرامة والعزة وإذا ذهبت تبحث عنهما فلن تذهب بعيدا انهما لن يضل طريقهما مؤمن ولا يجهلهما مخلص وهما ممثلتان فى ذلك الرجل المسلم المتمسك بدينه العارف بربه .

أكتب هذا الفصل من كتابى وكأنى واقف بين يدى قائد المسلمين الأعظم وحامل رسالة الله إليهم وهو فى هيبته وجلاله ووقرة كرامته وقوة إيمانه ورباطة جأشة . نعم أتمثله واقفا وقد حث من حوله من جنوده المسلمون وأنا بينهم يلقى علينا كلمة الحياة ودستور الله وقانون الأرض ذلك القول الخالد الأبدى (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحـابوا) (لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا) .

يا لله . . ما هذا القول الكريم ما هذا القانون العادل ؟ ما هذا الدستور

العام الشامل لكل ما يريده الفرد فى حياته وتتطلبه الجماعة فى تكوينها ما هذه الأسس المعنوية الرائعة التى تضمنتها هذه الكلمات الطيبة إنه لدين العزة والكرامة حقا إنه قاموس الحياة ودستور العالم بأسره إنه أساس دولة الاسلام الشامخة البنيان الموفورة الكرامة والعزة دولة الانسانية المطلقة السليمة لا الانسانية المعذبة المهضومة . . .

ما أجمل هذا الأساس المتين وما أعذبه وما أحلاه وما أقربه إلى العقول البشرية التى فطرت عليه منذ الخليقة الأولى إنه لقول عادل وتشريع عادل قويم . وهل يوجد هناك ما هو أقوم من هذا ؟ الإيمان . والحب . والأخاء . عدم التحاسد . عدم التباغض . هذه العناصر الخمس هى الرسوم المقررة والشروط التى يصل بها المرء إذا أراد الجنة . الجنة التى عرضها السموات والأرض فلا مال ولا جاه ولا سلطان ولا واسطة وما كل أولئك بالذى يقربنا إلى الله زلفى ولكنها الأعمال الصالحات — الأعمال التى يتقدم بها المسلم والتى تتجه لحياته الأولى التى يقضيها بين ظهرانى هذه الدنيا الهائجة هى الأعمال التى يتسلم بها مفتاح الجنة التى وعدها المتقون المخلصون فى الآخرة والآخرة خير وأبقى وهى الحيوان لو كانوا يعلمون .

رباه . رباه . . ما هذه الدنيا الفانية ، وهذه الحياة الفارغة . لماذا يتعلق بها الانسان ولأى شيء يؤثرها على الآخرة ما الذى ينفع فيها وما الذى يبقى للإنسان منها وأين السعادة التى ينشدونها فيها . لعمرى لا أدرى شيئاً من كل هذا . وما قيمة الدنيا بغير عمل خالص لله . أنظر إلى ما حولى فى هذه الحياة فلا أجد غير الشقاء الدائم للناس جميعاً إلا من أرادت له سعادة أبديه مثله كمثل الفلاح فى حقله يخدم الأرض ويتعهدها بكل ما أوتى من قوة ويكدح فيها كدحا انتظارا لثمرة غراسه الذى يتعهده ، وهذا الصنف القليل من الناس هم الذين أراد الله أن ينير لهم الطريق فأوحى إليهم وألهمهم أن الدنيا مزرعة

الآخرة ، فتلك هى روح السعادة الأبدية ونفس الحياة السرمدية . . عسى أن نكون منها . .

أكتب هذا وأنا لا أحسب لنفسى وجودا فى هذه الحياة الخادعة الكاذبة . الآن أنا أبعد ما يكون من هذه العوالم الدنيوية ولا أدرى أين أنا الآن وكأنى سابح فى ملكوت الله أتأمل فى قدرته العالية وأتفكر فى خلق السموات والأرض (ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك) بل أنا الآن أعود إلى نفسى قبل اعتناق الإسلام أتساءل أين كنت وأين كان عقلى. أين كانت علومى وأين كانت ذاكرتى أين كانت انسانيتى . بل وأين كانت رجولتى . وأين كانت كل هذه المظاهر (المحمدية) البريئة . آه . كنت فى ظلام دامس كنت فى ظلم بين كنت فى حيرة وشك كنت فى بؤس وشقاء . كنت أتخبط فى دياجير الظلمات بحكم ظروفى التى وجدت فيها وبحكم أسرتى التى اختطفها الموت واحدا بعد واحد وواحدة بعد أخرى وهم جميعاً على ضلال مبين حمدا لك يارب فقد بدلت شقائى سعادة وبؤسى هناءة وظلامى نورا . وموتى حياة وكفرى إسلاما . . . شكرا لك اللهم إذ هديتى إلى دينك الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . سبحانك فقد قدرت لى أن أقضى حينا من الدهر وأنا بعيدا عنك غافل عن شريعتك فاسق عن أمرك جاهل بدينك الحق . غفرانك اللهم فقد كنت أبعد ما أكون عن الكرامة والعزة .

أما اليوم فأنا فى عزة الإسلام وكرامته ودين رسولك الأمين وشريعته.

أشهد السموات والأرض أنى فى اللحظة الأولى التى هممت فيها بالجلوس إلى مكتبى لكتابة هذه الوثيقة التى أردت أن أسجلها فى كتابى لتكون عبرة وعظة لمن هو بعيد عن الاسلام وتعاليمه لا يدرى عنه شيئاً ، غير الذى ينشره ذوى الأغراض والأهواء اجتراء على الاسلام ورسوله ، أقول عندما

أردت كتابة هذه الوثيقة وقد جردت نفسى من كل ما يشغلها فى هذه الحياة لأتقدم إلى الله طاهراً نقياً خالص السيرة صافى القلب برىء النفس من ما يشغل فى هذه العوالم الدنيوية .

أى عدالة هذه التى يقررها الإسلام . وأى شرف هذا لمن يتعلق بأحكامه ويعمل بتعاليمه . وأى سعادة تكون لمن يتقدم إليه وهو شهيد .

عزة وكرامة وماذا يبقى الإنسان من حياته هذه غيرهما فما هذا السلطان الزائل وما هذا الملك البائد :

وما هذا الإنسان الفانى ! وما هذه الثرة المتروكة ؟ وما هذه الحياة المهجورة ؟ وماهذه الدنيا الفارغة وما الذى تساويه كل هذه الأشياء بجانب العزة النفسية والكرامة الإنسانية اللهم لا شىء غير أن يعود الناس إليك وأن يعملوا عملا صالحا يقربهم منك وتهديهم إلى صراطك المستقيم وتمتعهم بعزة دينك وكرامته

وها هو يشرح لنا شعوره نحو الإسلام ومن أسلم عن طريقه وما يجب على المسلم أن يقوم به من عمل فى حياته الأولى استعدادا لما ينتظره من جزاء فى الآخرة فيقول .

وبينما أكتب فى موضوعى هذا إذا بصوت عال يخترمه سمعى وينفذ إلى قلبى . فيهيج أعصابى ويبعث فى نفسى الثورة ، ولكن أية ثورة هذه التى يبعثها فى نفسى هذا الصوت الذى أرسل أشعته البيضاء فيها وكأنه صوت من الملأ الأعلى . وكأنه صوت السماء يرسل دويه إلى الأرض ليوقظ من فيها ويوجد نورا جديدا ويبعث فيها روحا جديدة ويغرس فيها رجولة كاملة جديدة . بدعوة قوية جديدة تدعوا إلى الدين وتعمل للإسلام الصحيح . . وتخلق نفوسا تهفو شوقا إلى النصر الإسلامى المنتظر وتؤمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

هذا صوت جميل وأحسبني غير مستطيع أن أفضل عليه أى صوت آخر سمعته - إنه صوت جديد بنغمة جديدة وبموسيقى جديدة - لا أقول أنه كصوت البلابل فى الأسحار أو كصوت الطيور على الأشجار - ولا كنغمة الموسيقى والأوتار . ولا صوت الطبيعة فى هدوئها وسكونها . . . كلا - كلا إذاً الأمر ليس كذلك :

ولا هو كصوت المدافع فى دويها أو السيوف فى قعقعتها أو كصوت البراكين فى ثوراتها . . . ؟ شىء من ذلك لم يكن - والحق إنى لا أستطيع التعبير ولا قدرة لى على الوصف . ولكنه صوت من السماء : وكأنه صوت رسول الاسلام العظيم اسمعه يقول (الدين الدين . . . الاسلام الاسلام . . .)

أقوم الآن من مكانى وأدع مكتبي وأجول فى أنحاء غرفتى باحثاً عن صاحب هذا الصوت فلم أجده نعم ما وجدت من أحد أمامى ليحدثني من جديد بحديث الدين والاسلام وأنا مشوق لحديث الدين الاسلام .

لم أرى فى غرفتى ولا خارجها الهاتف باسم الإسلام وكم كنت فى شغف شديد لرؤيته ومشاهدته لأعاهده من جديد على عمل . . ولأجيب دعوته وأكون أحد صحابته من جديد فى هذا الوقت الذى نراه أحوج ما يكون إلى أصحاب يعاهدونه ويعلمون لدينه — كم كنت أود أن أجيب دعوته مرة أخرى عساى أن أكون من المستشهدين فى سبيلها أو أن أكون جنديا فى كتيبة ذلك الذى يهتف باسم الإسلام ويصرخ باسم الدين ليشحذهم المسلمين ليدفع بهم إلى العمل من جديد والدين الدين . الإسلام الإسلام، هذا صوت من الملأ الاعلى يستصرخ المسلمين . . يدعوهم إلى العمل . يغرس فيهم روح الحمية الإسلامية والاقدام المحمدى .

آه يارب - هذا هو الوقت الذى يدعونا فيه رسولك - أزفت الآزفة

وحان الوقت للعمل الجدى وهذا هو قولك الكريم الذى تضمن فيه الجنة لعبادك العاملين (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) إذن ماالذى يمنعنا عنك . وما الذى يحول بيننا وبينك . ولكن ... ولكن من ذا الذى يستطيع الوقوف أمامنا إذا أردنا أن نقوم نعمل لأجلك وما دامت غاية المسلمين خالصة . لماذا لا تنصرهم النصر المبين الذى وعدت به المؤمنين . .

لنعمل . ولنجيب داعى الله ونداء رسوله الذى يقول (من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق) اللهم إنا نعوذ بك من عدم التطلع إلى الجهاد فى سبيل الحق ونصرته وإعلاء راية العدل الذى يمثله الإسلام خصوصاً فى هذا الوقت الذى نحن فيه أحوج ما نكون إلى الجهاد .

الله أكبر . ومن ذا الذى يغار على الدين ويهتف باسم الإسلام غير صاحب رسالته الأولى ورسول دعوته الأزلية . . إنه رسول الله يستصرخنا العمل ويدعونا إلى الإيمان الكامل ويدفعنا إلى الجهاد لإعلاء كلمة دينه أنه لرسول الله الذى يهتف باسم الإسلام وهو ينظر إلينا من خلال برزخه فلا يجد فينا واحدا يعمل لأجله أو يفكر فى نصرته ـ بل كل منا مشغول بنفسه متعلق بأهداب هذه الدنيا . لا يفكر إلا فيها ولا يحسب حسابا لغيرها ولا يعمل إلا لها كأن الموت على غيره فيها قد كتب ـ فلا حساب ولا عقاب ولا جزاء .

ما الذى يقدمه المسلمون فى حياتهم لأجل دينهم وما الذى يعملونه لآخرتهم وما هى العدة التى أعدوها لمقابلة ربهم وعند مواجهة رسولهم . . ؟ ـــ لا ـ لا ـــ لم يكن هذا شأن الإسلام والمسلمين بل الإسلام ودين مجاهدة ومجالدة . . أعرف هذا منذ اللحظة الأولى التى اهتديت فيها إلى الإسلام .

ولكن ما الذى قدمته أنا شخصيا لله والإسلام ولإرضاء رسوله فى برزخة . وما الذى يفعله المسلمين لدينهم فى مشارق الارض ومغاربها . هذا ما سأتحدث عنه وسأكتب كثيراً فيه إن شاء الله .

أما أنا فقد عملت فى نظر الناس كثيراً . ولكنى ما اعتقدت يوما أنى قدمت للاسلام قليلا أو كثيراً لان المسلم مادام على ظهر هذه الارض فهو مطالب بالعمل لدينه وربه ورسوله .

الآن وأنا فى شيخوختى هذه أعمل للاسلام ولكن أى عمل هذا الذى أعمله . أكتب كتابى وأنا على فراش المرض المضنى أدون مذكراتى هذه عسى أن يستفيد منها الناس بعد موتى وحسبى أن يجدوا فيها ما يرتاحون له . سيما وهى من أخ غربى عاش حياته بعيداً عن الإسلام إلا قليلا . ثم عرف الهداية فاهتدى وآمن بدين الله الاقوم الذى ما وجد إلا ليسود العالمين .

لم أقل اليوم قولا نكرا . بل ما أسجله الآن هو نتيجة بحثى واطلاعى أثنى عشر عاما درست فيها الإسلام درسا . فإذا هو خلاصة وافيه وعلاج شاف يجب على هذه الأمم المريضة أن تتناوله . . أقول هذا لأبناء الغرب جميعا بل لمخلوقات الله فى مشارق الأرض ومغاربها .

اعتنقت الإسلام منذ أثنى عشر عاما فماذا قدمت له وما هو العمل الذى قمت به فى هذه المدة أذكر أنه قد أسلم عن طريقى آلافا من الغربيين اعتقد أنهم جميعا اعتنقوا الإسلام عن فهم وعلم بل هم جنودا للاسلام واعتقد أن هذا لم يكن كل ما يطلب من الذى فهم الإسلام على حقيقته . .

لذلك لا أعتبر هذا الذى قدمته عملا اكتفى به وأركن عليه وما أظنه كافيا للقاء الله ورسوله . .

ومن هنا أعتقد بأني لم أقدم شيئا للاسلام أما هؤلاء الذين أسلموا عن طريقي وأصبحوا جنودا لله فهذا تقدير العزيز العليم وما أنا إلا واسطة ولا قيمة لعملي في الواقع فإن هؤلاء قد قدر لهم الإسلام فإذا لم يكن عن طريقي فليكن عن طريق غيري . وإذا كنت تحملت كثيرا من العنت والأذى ولاقيت كثيراً من الإضطهاد في سبيل دعوتي فهذا أيضاً أمر قدر على في الأزل ما في ذلك شك والله عنده حسن الجزاء .

أما الآن فكل ما أرجوه وأنا في شيخوختي هذه أن أستشهد في سبيل الإسلام .. وكم أحسد زميلي وصديقي السنيور (الفريد أوجوستوا) الذى استشهد في سبيل الإسلام — آه عسى أن استرد شبابي لأواصل جهادي لله ورسوله والبي نداء صاحب الرسالة العالمية المقدسة الأبدية مدافعا عن الدين عاملا على إعلاء كلمة الله ما استطعت بالقول أو بالسيف حتى ألقى الله وأنا شهيد ...

ولست أبالي حين أقتل مؤمنا على أي جنب كان في الله مصرعي

« طريقي إلى الإسلام قبل اعتناقه وبعده »

وأريد أن أتكلم في هذا القسم من كتابي عما قمت به من عمل إزاء إسلامي والطريق الذى سرت فيه قبل اعتناقي الإسلام وما دعاني إلى اعتناق هذا الدين العظيم . وما كنت أريد أن أتحدث عن شيء مما لاقيته من تشريد وتعذيب وما تحملته من ألم وتشتيت وما لاقيته من عقبات تشوب لهولها الولدان ...

أعتقد أن هذه العوامل كلها التى مرت بي لم تكن أشياء طبيعية لاجديد فيها ولا غرابة منها . لأن صاحب الدعوة لابد من أن يصطدم في طريقه

بمثل هذه الأشياء . وكيف لا تكون هذه الصدمات طبيعية لا جديد فيها وما لاقاه رسول الإسلام صاحب الرسالة الربانية من هذا ما يجعلني انحني اجلالا وتعظيما لهذا الطريق الذى لا بد أن يسلكه المصلحون وأن أتقبل هذه الصدمات بصدر رحب ونفس راضية .

ولكنى أجد نفسى مضطرا للتحدث عنها ويشهدالله والتاريخ أنى لم أكن مبالغا ولا داعيا لنفسى عن طريق كتابتى ولكنها الحقيقه وإن كان فيها من المرارة على نفسى الشيء الكثير .

أذكرها فى مذكراتى عسى أن تظهر ثمارها فى ناحية من النواحى التى يكون لها من الإنتاج ما يريحنى فى قبرى بعد موتى ويسعدنى فى حياتى وأنا على فراشى احتضر ..

آمنت بالله . واعتنقت الإسلام . وعملت بأوامرة وانتهيت بنواهيه . على أثر الظروف القاسية التى أحاطت بى قبل إسلامى مما دونته فى مقدمة كتابى هذا . ولكن الشعور الذى تملكنى لم يكن شعورا عاديا أبدا وما هو بالشيء الذى اعتاد الإنسان أن يراه فى حياته من حيث البيئة التى ربيت فيها والأسرة التى نشأت بين أحضانها . ولقد قلت أن إسلامى لم يكن نتيجة دعوة دعيت إليها ولا من أثر صحيفة قرأت فيها ولا من تأثير رجل من المسلمين دعانى فأجبت دعوته . . . كلا كلا بل إسلامى موضوعه غريب . حيث كان نتيجه شك فى الأديان جميعها وعلى الأخص بتأثير الدراسة التى كنا نتلقاها فى معاهدنا التبشيرية التى قذفت بنا إليها الظروف الغافلة .

ولقد بحثت فى الأديان جميعا وطفت عليها وكان بعد ذلك الأثر الحتمى وهو أنى تركت كل هذه الاديان وراء ظهرى .

وكان من أثر ذلك يأسى من الحياة الدينية واعتقادى بأنه لم يكن هناك دين صحيح يصلح لاعتناقه . ولكن بعد ذلك رأيت أن أعود إلى دين الإسلام الذى لم أتشرف قبل اليوم ببحثه أو معرفة شىء عنه سوى ما كان يلقن لنا فى المعاهد من الدعاية السيئة ضده وتشويه سمعته بشتى الطرق ومما دعانى أكثر إلى العودة إلى الإسلام الدعاية السيئة التى عهدتها منذ طلبى العلم فى المدارس التبشيرية الرومانية وكان اهتمامى به أكثر نتيجة تلك القائمة الكبيرة التى كانوا يضعون فيها دين الإسلام وعناصره والتى يطلقون عليها اسم (القائمة السوداء) . كل هذه الظروف كانت هى العامل الأول الذى دعانى لبحث الإسلام والتعرف إليه والتفرغ لدراسته وتفهم أحكامه لا لشىء سوى أنى كنت أريد أن أعرف عن أمر هذا الدين الذى يعطى فى الغرب هذه الأهمية المزعجة بل دعانى لدراسته تلك الوقفة الحائرة التى شاهدتها فى الغرب بأسره من أمر هذا الدين ولا أكون مبالغا أن قلت إن الغرب يقف أمام الإسلام مكتوف اليدين حائرا متخبطا لا يستطيع أن يقوم ضده بعمل إلا ويكون نصيبه فى ذلك الخسران المبين والفشل .

ولكن متى بدأت فى دراسة الإسلام ؟ . . بعد أن شغفت به (اثنا عشر عاما) وأنا فى معاهد التبشير أتعلم كل ما يسوء سمعة الإسلام ويشوه معنويته من الخطط الموضوعة لمحاربة الإسلام ومهاجمته فى كل شىء . ومن ظروفى أنه كانت أسرتى جميعها من المبشرين فكنت كلما أتصل بواحد منها وأريد أن استوضحه شيئا عن مهاجمة الإسلام فى المعاهد ، فلا أجد منه غير استنكار ما أريده منه وكان أبى أيضا كذلك كلما تقدمت إليه مستفهما عن هذا الإسلام الذى يحاربونه هذه الحرب الغاشوم لا يتظاهر أمامى بغير الجهل المطلق بالإسلام وكثيرا ما زجرنى ونهرنى ليبطل منى هذا (الداء) داء البحث فى الإسلام وأصله . لا أطيل فى شرح ذلك ولكنى تمكنت أخيرا من دراسة دين الإسلام بعد ما انتهيت من دراستى الثانوية والعالية

وبعد أن نلت أكبر شهادة فى التبشير المسيحى (والله يعلم بأنى كنت أجهل ما يكون بالدين المسيحى . لأنى كنت غير مقتنع بكل ما تلقيته عنه) .

وجدت نفسى فى شيء من الحرية التى تمكننى من بحث ما أريد ولكنى فوجئت بعقبات جديدة ما كنت أترقبها وهى وقوف والدى أمامى ومحاولته أن يصدنى عن سبيلى . وقد كان يرجو منى أن أخلفه فى رئاسة الكنيسة بروما ولكنى كنت أعمل على غير علم أبى . ورغم ذلك فقد كان يراقبنى بشدة ويعد خطواتى فى الغدو والرواح .

ولقد كملت حريتى فى اليوم الذى توفى فيه والدى ووالدتى إذ رأيت نفسى أستطيع أن أفعل ما أشاء : وهنا بدأت فى دراسة الإسلام دراسة وافية وطالعت كثيرا من كتب السير والتفاسير المطبوعة بلغات غير عربية ولكنها كانت تخالف لغة القرآن وكان شوقى كبيرا فى أن أطالع القرآن الكريم بلغته التى أنزل بها . .

تعلمت اللغة العربية . ودرست تعاليم الإسلام دراسة وافية . . فماذا وجدت وجدت عجبا . وجدت حياة غير الحياة التى اعتدتها . . وجدت أشياء خارقة للطبيعة البشرية التى عاصرتها .

عرفت لماذا يقف الغرب بأسره . وأوربا جلها أمام عظمة الاسلام مكتوفة الأيدى بل مهاجمة له عرفت لماذا كانت المدارس والمعاهد التى درستها تحارب الاسلام وتحاول صدنا عن سبيله . علمت لماذا كانت المدرسة والجامعة تخشى أن يعرف طالبتها شيئا عن الاسلام إنهم كانوا يعتقدون أنهم بهذه الطرق المعوجة يستطيعون أن يسيطروا على العقول ويحكموا الأرواح فى سجن ضيق لا منفذ له ولا نور فيه وغاب عنهم (إن الله متم نوره ولو كره الكافرون) .

ويهدى من يشاء إلى صراطه المستقيم يريدون أن يحولوا بين الناس ودين الله .

فارقت الضلالة . وخرجت من الظلمات إلى النور واتخذت الإسلام ديني . ورسوله قائدي . وفكرته سبيلي وإلى الله طريقي . وكيف لا أكون كذلك وقد علمت أن الإسلام هو دين الله العام الخالد الذى يستطيع بتعاليمه وأحكامه أن يصلح العالم .

هنا كنت أقول فى نفسى . . أما كان الأجدر بهؤلاء الغافلين عن دين الله أن يتعلموا هذا الدين ويهتدوا بهديه ويسيروا على طريقه حتى يستطيعوا أن يتحرروا من هذه العبودية التى يهوون إلى قرارها وهم عن الله غافلون .

اثنا عشر ألفا يعتنقون الاسلام

بدأت فى نشر دعوتى للدين الاسلامى الذى هدانى الله إليه فى مدينة (نابولى) من عاصمة روما حيث كانت إقامتى الأخيرة .

والحق أنى عندما فهمت الاسلام تماماً وعرفت واجبى نحوه وما أنا مكلف به بخصوص نشر دعوته ، هممت بإعلان ذلك فى ربوع الغرب بنشرات كتبتها بنفسى ومضيتها باسم مستعار . وكان غرضى من ذلك (جس النبض) وهنا وجدت نفسى فى ثورة نفسية وفى هياج روحى لا عهد لى به من قبل ، مهمتى شاقة وطريقى محفوف بالأسلاك الشائكة . عملى لم يكن هين مشروعى خطير ، فكرتى واسعة النطاق . رغبتى فى أن أوجد انقلابا لا هوادة فيه فى الغرب . وكم رددت بينى وبين نفسى (إذا قمت اليوم وأعلنت دعوتى فى صراحة إلى الاسلام هل أجد من يسمع لى . . . ؟) أرى من واجبى إذاء الدعوة إلى الاسلام أن اسفه أحلام هؤلاء الذين يقيمون فى الغرب ولا يعقلون للدين معنى وماهم للاسلام فاهمين .. أيمكن أن أجد من هؤلاء من يلبى دعوتى ويصغى لقولى ويعمل بما أدعوه إليه ؟

وبعد : أن أسير فى هذه الهواجس شوطا بعيدا أعود إلى نفسى فأقول

(إن الاسلام دين الله وهو الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . وأنا أومن به حق الايمان (أن أريد إلا الاصلاح ما استطعت) إذاً ماذا يضيرنى أن سمع الغربيون لى أو لم يسمعوا ألم أكن داعيا إلى الله ألم تكن دعوتى لدين الاسلام .

قلوب الغربيين مقفلة بصائرهم عليها غشاوة ، نفوسهم ملوثة (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) هم لا يعقلون معنى الاسلام . ولا يفهمون تعاليم الاسلام . بل هم جاهلون لكل ما جاء به الاسلام وإن كانوا يعرفون . فهم يعرفون ما عرفته فى المدارس والمعاهد التى درست فيها وقضيت حياتى بين جدرانها .

إذا مهمتى لم تكن واحدة — ولكنها مهمتين هدم وبناء أجل تتناول مهمتى هاتين الصناعتين ولابد لى من الهدم قبل أن أبدأ بنائى الذى أريد أن أشيده على إصلاح روحى ومعنوى .

كيف أقدم . ولماذا أتردد وما الذى يخيفنى بعد أن تمثلت أمامى هذه اللوحة البيضاء التى قرأت عليها (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أجل قرأت هذا النص الكريم وأنا فى حيرتى هذه التى بقيت عليها أكثر من عام قرأت هذا القول الذى تمثل أمامى بأحرف من نور على تلك اللوحة البيضاء التى ظهرت أمامى وفى غرفتى .

بعد ذلك هل يخيفنى شىء أو يقف أمامى مانع عن مواصلة جهودى الجديه وعملى الصحيح هنا أقسمت قسما حقا أن أبدأ بدعوتى بشكل واسع النطاق مهما كلفنى الأمر من مجهود .

فى هذه اللحظة قمت توا غير هياب من جهل الغربيين ولا وجل من ظلم طغيانهم المشوم ولا خوار من غدرهم الذى يظهرون به أمام كل مصلح يريد

أن يدعوهم إلى التحرر والسيادة المعنوية بدأت بدعوتى بين قليل من أصدقائى. وكان عددهم كما أذكر الآن عشرين من كبار الغربيين وعلمائهم المفكرين. وهم جميعا جيرانى من سكان (نابلى) وقد كان عهدى بهم الصدق فى الكبيرة والصغيرة ولعل فى هذا السبب الذى جعلنا نتفق لأول وهلة وأصبحنا كتلة واحدة متراصة .

فهموا جميعا دعوتى : آمنوا برسالتى ووثقوا من عقيدتى . اتخذنا جميعا خطة واحدة وعملنا متكاتفين متآزرين ،

عاهدنا أنفسنا على أن نقابل كل ما يصادفنا من عقبات هاشين باشين غير متألمين . نواجه الخطوب إذا دعت الحالة بصدر رحب . وبهذا سرنا وبدأنا نحن العشرين جنديا . نعم عشرون جنديا ولا أقول قوادا بل جنود فقط لله الذى هدانا ووجهنا إلى هذا ، بهؤلاء العشرين أيدالله دعوتى وبهدلى بهم سبيل رسالتى وكانوا عدتى وعديدى . هؤلاء العشرون كانوا أساساً لإثنى عشر ألفا من الغربيين اعتنقوا الاسلام على بكرة أبيهم . صاحبونى على الخير والشر ، معا شاطرونى أحزانى وأفراحى وهنا ابتدأت دعوتنا فى (نابلى) بأن اعتنق الاسلام فيها ألف ومائة من (النابوليين) وفعلا وصلت دعوتنا المدنية الصناعية الكبرى (فلورنسا) حيث آمن بالاسلام فيها أيضا ما يتراوح بين الثلاثة آلاف والأربعة آلاف من أبنائها وهنا فى (فينسيا) شد عضدنا حيث رأينا من فى هذه المدينة الجميلة التى لا ترى فيها ولا تشاهد من أبنائها غير المترفين والمنعمين من أبناء (روما) رأينا انتصارا حاسما ونورا باهرا حيث وجدنا قلوبا صافية وأرواحا طاهرة ونفوسا تقبلت دعوتنا بغير تردد فكان لنا منهم نحو الأربعة آلاف كان كان منهم السنيور (ألفريد أوجوستو) الذى استشهد فى سبيل الاسلام .

وهكذا سرنا منصورين على أعدائنا فكان كل من يقف أمامنا لا نصيبه

له غير الفشل والخسران المبين حتى بلغ عدد من أسلم فى مدة أثنى عشر عاما (أثنا عشر ألفا من الغربيين) بنسبة ألف عن كل عام من جهادنا وكيف لا نسير مؤيدين برعاية رسول الإسلام الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ونحن مؤمنون به صادقون بدعوته عارفون لما يجب علينا نحو الاسلام ولكن حدث أخيراً عندما أصبح لنا من الخطورة ما يخشاه الجميع أن وقف أمامنا (البابا) محاولا صدنا عن سبيلنا بالطرق الآتية .

عندما رأى البابا فى روما نجاح دعوتنا وانتشار فكرتنا بين السواد الأعظم من السكان وما لاقيناه من فوز وتقدم فى الدعوة . والحق أنها كانت دعوة موفقة غاية التوفيق . ناجحة غاية النجاح .

وكان لها من الخطورة على مركز البابا الشيء الكثير ... رأى ذلك (البابا) ومن حوله من الكهنة دعاة السوء وأصدقاء الشيطان وأنصار الكفر والاشراك . فما كان منهم إلا أن عاهدوا أنفسهم على أن يواجهونا بدسائسهم التى أملتها عليهم نفوسهم الحقيرة أن يقفوا فى طريقنا ليحولوا بيننا وبين دعوتنا وتحليقها فى سماء روما .

ماذا فعلوا وأى خطة اتبعوها ؟ هذا ما أقصه عليكم فيما يأتى :

سمع البابا بنجاح دعوتنا وكان يعمل لها ألف حساب فكنت إذا حادثته وجدته رجلا خائفا مرتعدا ولكنه استطاع فى النهاية أن يجمع حوله من الأصدقاء من يجعل منهم جبهة (بابوية) غايتها محاربتنا والسعى وراء هدمنا والحض على كراهيتنا بشتى الطرق . وكان غرضه الأول إنما هو تحريض (الكنيسة) الرومانية علينا ومراقبتها لدعوتنا) .

وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد كادت (روما البابويه) أن تسلم لو أننا تركنا وشأننا قليلا .

ولقد كانت محاربته لنا أمراً بديهياً لاغرابة فيه ولاشك فى أننا يوم قمنا بأداء رسالتنا كنا مقدرين ذلك كل التقدير ولكن الرجل اتبع خطة غير لائقة إذ أنه لم يقف أمامنا ولكنه أوصى لاتباعه . ولم يظهر بمظهره الأخير إلا بعد أن مكن الدساسين منا فدسهم بيننا وحشدهم معنا حتى إنك إذا كنت رأيت أحد هؤلاء المرتزقة لاتشك فى أنه من جمعنا لتقربهم منا وعملهم معنا وتظاهرهم بالإخلاص والتفانى فى دعوتنا شأن المنافقين فى كل دعوة .

أوعز البابا إلى أولئك الناس أن يكونون معنا فكانوا هم الفتيلة الأولى التى انفجرت فى قلب جماعتنا فأخذوا يعملون ضدنا وهم بيننا ونحن عنهم غافلون حتى كشف سترهم بعد حين من الدهر من غير أن ينالوا منا والله غالب على أمره .

وكان لدعوتنا أثرها بعد افتضاخ أمرهم وكشف سترهم وظهور سرهم وجهرهم . أما البابا فعندما شعر بفشل هذه المؤامرة التى دبرها عمد إلى القوة المشؤومة فحاربنا بها وداهمتنا بسلاحيهما الباطل وغاب عنه أن الدعوة لها رب يحميها وهو باريها . وبهذا النصر الإلهى بلغ عددنا فى روما أثنا عشر ألفا من المسلمين وكانت الدعوة تسير حسيسا وحدها دون أن نقدم إليها جديد فكانت طفيفة ولا أذكر تعدادها بعد ذلك بالضبط .

لمـــاذا أسلمت . . ؟؟

بدأت حياتى بين والدين مسيحيين ونشأت فى أسرة متمسحة تتظاهر بالدين وماهى بالمتدينة وتتحدث باسم اللاهوت وهى أجهل ما تكون بأمره كان عملها التبشير بالمسيحية وهى لاتعرف المسيح من قريب أو بعيد كان ميلادى فى شهر يناير ١٩١٠ فى مدينة ميلانو بعاصمة روما وقد ولدت من أب مبشر وأم مبشرة ولما بلغت العاشرة من العمر أدخلنى أبى إحدى المدارس اللاهوتيه لاتلقى فيها علوم الدين المسيحى وقواعد التبشير

(والتبشير هنا هو التعرض للمبادىء الإسلامية والتنكر للقرآن) لأخلف والدى فى عمله كرجل من رجال التبشير مكثت بهذه المدرسة ثلاث سنوات وكان أبى بنوع خاص يعنى بى عناية كبيرة فى تلقينى كل ما يعرفه عن الدين المسيحى وكانت معلوماته الدراسية لا تعدو كما قلت الناحية التبشيرية وكنت أدرب فى المدرسة على الطريقة التى أستطيع بها تجريح الدين الإسلامى ومحاربة أبنائه وبهذا فقط كانت المدرسة تبذل أقصى ما عندها من الجهد وكنت ألقن فى المدرسة أيضا بعض الموضوعات التى لا يتقبلها العقل عن الإسلام لأتذرع بها فى المستقبل فى دعايتى ومناقشاتى مع الآخرين من الأديان الأخرى .

مكثت فى دراسة هذه الأشياء وهى المرحلة الأولى ثلاث سنوات ثم انتقلت إلى المعهد اللاهوتى العالى لأتخصص لمدة سنتين وفى هذا المعهد العالى كنت أرى الشيء الغريب حيث أن الأساتذة وهم من الكرادله حيث كانوا يتبعون دراسة ملتوية فى التطبيق الإنجيلى فكانوا يدرسون لنا إصحاحا من إنجيل من الأناجيل الأربعة ويتركون إصحاحات بأسرها لا يتكلمون عنها وهى الإصحاحات التى توافق دعوتهم . كنا نجدهم يدرسون لنا ما يطيب لهم وماينفعنا كما يقولون فى مستقبلنا وكان مستقبلنا فى التغرير بالعقول الناشئة والبعد بقدر المستطاع عن الحقيقة .

ومن هنا نشأت عندى الريبة وتسربت إلى نفسى الشكوك من هذه الطرق الملتوية التى يتبعونها فى الدراسة . وكنت أتساءل دائما بينى وبين نفسى فأقول نحن هنا فى مدرسة لاهوتيه عليا نتلقى فيها قواعد التبشير وهذه كتبنا الدينيه لماذا لا نقرأها جميعا وندرسها لنكون محيطين بأسرارها فى عملنا ما دامت هذه الكتب هى كتب سماوية كما يقولون .

لماذا لا نقف على حقيقة الأديان الأخرى ودراسة

مبادئها وكتبها لنكون عالمين بها . لماذا يخفون كل ما يتعلق بدين الإسلام غير محاولين أن يذكروا لنا أو يدرسوا لنا شيئا من مبادئه وكتبه .

ومن هنا غامرني الشك بكل معانيه فلم يسعني غير أن أفاتح والدى فى هذا الأمر لعلى أجد منه جوابا يشفى غليلى ولكنه كان يتهرب دائما من الإجابة والتوجيه الصحيح لى بأنه كما يقول لا يعلم فى هذا الأمر شىء وضاعت محاولاتى عبثا .

أثرت هذا الموضوع بالمعهد مع المدرسين فلم أحظى بنتيجة ما . تخرجت من هذا المعهد بعد أن قضيت المدة المقررة لى فى الدراسة وحصلت منه على دبلوم فى الدراسات اللاهوتية وكان ترتيبى الأول ومنذ ذلك الحين كلفت بإلقاء دروس التبشير . ماذا أقول وبما أبشر وبأى أسلوب أواجه الناس ومعلوماتى قاصرة ولا أحتمل المناقشة إنه كلام فى المسيحية وكلام نجرح به الأديان الأخرى وكلام كثير لتشويه وجه الإسلام وكلام عن مبادىء الدين المسيحى ونحن جميعا ، أنا وغيرى من الزملاء جاهلين بالمسيحية وغيرها من الأديان ،

إذا ماهى مهمتى التى أقوم بها الآن وعلاما أتقاضى أجرا من وظيفتى كمدرس . كنت دائما أردد هذا الكلام وفيما قضيت خمس سنوات كاملة للدرس والتحصيل .

وهنا قررت أن أرجع إلى الأناجيل وأنظر ما كان يخفيه علينا المدرسون فى سنين الدراسة وكذلك عكفت على دراسة ما استطعت أن أصل إليه من كتب تتحدث عن الإسلام وكانت عنايتى الخاصة فى دراسة الكتب الإسلامية حيث أنى والحق يقال ما فهمت من كتبنا شيئا إطلاقا لأن كل ما فى الأناجيل عبارة عن فصول متضاربة وإصحاحات متناقضة غير متقنة الوضع .

ومن هنا عرفت أن المدرسة كانت تتحاشى عرض هذه الكتب كاملة منعا لتشكيك الطلبة فى أمر الدين لتبعد عنهم هذه المتناقضات لأنك تجد عند قراءتك أحد الأناجيل الأربعة إصحاح يقول أن المسيح هو الله وإصحاح آخر يقرر بأن المسيح ابن الله وفى إنجيل آخر يقول أن المسيح هو الأقانيم الثلاثة وآخر يقول أنه روح القدس الخ .

وهكذا يخرج من قراءتها محطم الأعصاب خائر القوى لأنك أجهدت نفسك فى قراءة مضللة وتكون النتيجة جهد ضائع .

ما هذا أيها القوم هل هذه الكتب من عند الله . هل هذه الكتب أنزلت من السماء .

هل هذا هو الدين الذى جاء به عيسى وآمن به الحواريون ؟ لا ـ لا إنى لا أصدق هذا مطلقا لأن هذا التضارب لم يكن من عند الله ... إذا ما هى المسيحية ومن هو المسيح ؟ لقد درست وقضيت السنين فى الدراسة وحصلت على دبلوم لاهوتى وأنا أجهل ما يكون عن المسيح والمسيحية . فهل المسيحية دين واحد أم هى أربعة أديان حتى يكون لها أربعة من الكتب المقدسة غير متجانسة فهل يكون الله أنزل على الكاثوليك كتاب وعلى البروستنت كتاب وعلى الأرسوذكس كتابا الخ شىء من هذا لم يكن ولن يكون من عند الله لأن عيسى كان واحد ودينه واحد وكتابه واحد والله واحد لا شريك له .

هذا ما فهمته من خلال دراستى عن المسيحية .

هنا استولى على اليأس واستسلمت له تماما وكنت دائما أقول أيوجد الإنسان عبثا فى مثل هذه الدنيا أخلق اعتباطا فى هذه الحياة . ألم يخلق للعمل ألم يوجد له عقل يميز به لا بد أن يكون له دين صحيح يقوده إلى

طريق الحق ويرشده إلى الصواب ويبعد عنه الشك ـ كدت أن أنفجر بعد أن مكثت أكثر من عشرين عاما وأنا أتخبط فى هـــذه الظلمات وفى ذلك الوقت توفيت أمى وتبعها أبى وبعدها شعرت بالحرية فى الرأى والتفكير فكان لزاما على أن أحيا حياة جديدة . وهنا أردت أن أنحو ناحية جديدة. وهى أن أدرس الإسلام هذا الدين الذى كانوا يبعدوننا عنه أثناء الدراسة. وشغلت كثيرا بهذا الأمر ولكن ما هى الطريقة التى توصلنى لدراسة هذا الدين من ذا الذى يرشدنى إليه أريد أن أقف على حقيقة أمر هذا الدين . أريد أن أفهمه وأن أدرسه وأن أعلن ما فيه من جمال .

وهنا أتاح الله لى الفرصة لدراسة هذا الدين الذى جاء به محمد هذا الرجل العصامى الذى لم يرشدنا التاريخ إلى زميل له حتى اليوم أهدانى أحد أصدقائى نسخة عن حياة محمد مترجمة إلى لغتنا الإيطالية فتناولتها بالبحث والتمحيص حتى غرقت فى بحار من النور الوهاج وخيل لى أنى أسبح فى جنة الخلد التى أعدها الله لعباده المسلمين .

عندما أتممت قراءتها رجعت إليها مثنى وثلاث ورباع حتى كدت ألا أدعها تفارقنى لحظة واحدة حيث أجد نفسى فى اصطحابها أسعد مخلوق على وجه الأرض . بعد ذلك وجدت فى نفسى رغبة ملحة لمطالعة القرآن الكريم الذى أنزل على هذا الرسول الأعظم فعثرت على نسخة مترجمة إلى اللغة الفرنسية فأخذتها كالمتعطش الظمآن وعاهدت نفسى ألا أترك كلمة واحدة من آيات هذا الكتاب الكريم حتى أطالعها مرات عديدة لأقف على حقيقة الروح المعنوية فيه وما كدت أجتاز الثلث الأول منه حتى شعرت بنفسى تصعد من عالم الأرض إلى عالم السماء لتتصل بالعظمة الخالدة التى وهبها الله لنبيه العظيم الذى أنزل عليـــه القرآن الكريم ليكون قانونا متفقا مع حرية الإنسان وكرامته ولتعم أحكامه الأمم جميعا .

والآن وأنا بين صفحات ذلك القانون السمادى أجد نفسى تمتلىء نورا وعظمة وعلما أى أكون شيئاً آخر . نعم وجدت قلبي يمتلىء من أنوار هذا الكتاب المقدس الذى تشع الأنوار من صفحاته فتنفذ إلى قلبي المتعطش الذى كان بالأمس القريب يعيش فى ظلام دامس .

ومنذ ذلك وقد عاهدت نفسى أن أعمل جاهدا لنشر تعاليم الإسلام وإعلان رسالة رسول الإسلام بكل الطرق الممكنة وبكل القدرات التى وهبنى الله إياها . والحقيقة وأنا أزاول عملى كرجل من رجال اللاهوت كانت طريقتى فى محاضراتى ودروس أن أتكلم عن المسيحية باختصار وأتكلم عن الإسلام بالشرح وبإسهاب الشىء الذى لفت نظر رؤسائى فى المعهد الذى عينت فيه مما جعلنى أقدم استقالتى وأعلن إسلامى وأقف حياتى للاسلام والدفاع عن رسالته .

« الجامعة الإسلامية »

إذا كنا نشاهد فى الغرب تكتلات وتجمعات لدراسة شئونهم الخاصة منها والعامة وإن كنا نرى هناك يقظة لمجابهة كل مايتعارض مع حياتهم ويهدى ضالتهم؟ وما يقررونه من مشروعات خاصة بهم و ذا كان الغرب يفخر بجامعاته ويباهى العـــالم بمؤتمراته ويتهدى صغرى الدول بنظام تحركاته الجماعية .

فإن للاسلام نظم مشروعة مقرره أرساها فى قواعدة الخمس وهى .

١ — شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله :

٢ — أداء الصلاة التى تطهره من الآثام والمكروبات .

٣ — ايتاء الذكاه التى تفرض للفقير حقاً فى مال الغنى كى يعيش به .

٤ — صوم رمضان الذى يطهر النفوس ويشعر بالحرمان والجوع والعطش .

٥ — حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا الذى يجمع المسلمون فى مكان واحد يدرسون شئونهم مجردين من كل متع الدنيا اللهم إلا وقوفهم بين يدالله مكبرين مهللين لافرق بين كبيرهم وصغيرهم من غير طبقات أو أجناس .

« ليس فى رسالة محمد شك »

لم تزل بعض الطوائف الرجعية التى ختم الله على قلوبهم حتى أصبحوا لا يتصورون المحسوسات ولا يشعرون بالملموسات ولا يستخدمون عقولهم التى وهبها الله لهم ليميزوا بها بين الخبيث والطيب والنافع والضار وليفرقوا بين الغث والسمين بل تركوها مهجورة خربة لا يصل إليها نور ولا ينفذ اليها برهان حتى فقدت جوهرها وأصبحت بعيدة عن كل المقومات (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

فوا أسفى قد خسروا الحياتين الدنيوية والأخروية معاً .

بلغت جرأة أولئك المفترين إلى حد المجاهرة بإنكار رسالة سيد الخلق وخير البشر على الإطلاق وأشرف من أرسل الله لعباده منذ خلقت الدنيا إلى يومنا هذا .

يقولون أنه ليس هناك نبي يسمى محمد ولا رسول بهذا الاسم أنبأتنا عنه الأناجيل ويروجون هذه الإدعاءات الباطلة بحجج واهية مع العلم بأن نفس أناجيلهم الموضوعة بحسب ميولهم وأهدافهم طافحة بالأدلة والبراهين التى تضحد هذه الإدعاءات الباطلة وتقرر مجيئه إلينا هذه الأناجيل التى إذا

قرأها إنسان من ذوى العقول السليمة والضمائر البريئة لتعرف من خلال أصحاحاتها أن هناك حقيقة واضحة بظهور نبياً ورسولا سيرسله الله لعباده بعد المسيح كى يهديهم إلى الصراط المستقيم ويرشدهم إلى طريق الدين السوى القويم دين البشر على الإطلاق .

إن نجاح رسالته صلى الله عليه وسلم وعموم دعوته الإسلامية وانتشار فكرته السامية فى مشارق الأرض ومغاربها فى مدة وجيزة لهو كفيل بأن يقطع ألسنة المتخرصين لدين يخدعون أنفسهم ويعبثون بضمائرهم برواج الإدعاءات الباطلة ضد رسالته .

كيف ينكرون عليه نبوته ورسالته وقد قام لنشر دينه وحيدا لاجيش يشجعه ولا سلاح يدفع به ولا أعوان يعتمد عليهم وما لاقاه من نجاح لا يمكن أن تلاقيه أعظم دولة مسلحة بالمال والعتاد .

إن شمائله صلى الله عليه وسلم وقوة إرادته وحلو حديثه وكرم أخلاقه وطيب نفسه وإيمان قلبه ونور صدره وحياء وجدانه تلك العوامل جميعاً هى الخطوة الأولى التى مهدت له سبيل النجاح والفلاح وهى التى جعلت من دينه الذى بشر به من عند الله ديناً ينتشر ويسود العالم .

ومن دلائل نبوته أنه كان لا يؤثر نفسه على صحابته وأصدقائه حيث كان لا يعرف للرياسة مكانة بل كان دائماً بين إخوانه كفرد منهم ما داموا مؤمنين بالله ورسله واليوم الآخر ويؤدون فرائض الله وذلك كل ما كان يأمرهم به ويدعوهم إليه ويرغب فيه منهم حتى أنه كان فى ذات يوم وبعد غزوة من غزواته مع بعض أصحابه فأمر بذبح شاة فقال أحدهم يا رسول الله على ذبحها ونهض الثانى قائلا وعلى سلخها وقام آخر يقول وعلى طهيها وعندئذ نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا أما أنا فعلى جمع الحطب لها فقال أصحابه يا رسول الله ألا تكفيك العمل فقال ما معناه (علمت أنكم

تكفونني ولكني لا أرغب أن أكون مميزاً عنكم لأن الله يكره أن يرى عبده مميزاً بين أصحابه) .

وهنا يتضح لنا أن ما اختاره النبي لنفسه من بين أصحابه هو العملية الشاقة المتعبة المرهقة إذ أنه راح يجمع الحطب من الفيافى ويحمله بين ذراعيه أو على كتفيه ليوصله إلى أصحابه — بالله ما أحسن أخلاقه وأقوى إيمانه وأرسخ عقيدته وأطيب نفسه . .

أيليق بإنسان مهما كان شأنه أن ينكر على رسول الله الذى كانت هذه طباعه وهذه معاملاته وهذا سبيله إلى الإصلاح والقيام بمهمته التى هى من أشاق المهام ، أن ينسب إليه ناقصة من النواقص التى يعزى بها ذوى النفوس الوضيعة .

أينكر أحد على هذا الملاك الطاهر الذى بعثه الله فى زى إنسان ليكون قدوة للخلق ومرشداً أعظم لهم يرشدهم إلى سبيل الصواب ؟ من ذا الذى ينكر على محمد الرسول الأمين رسالته ومن ذا الذى لا يعترف له بالنبوة والقرائن التى تدل على صدق رسالته لاعدد لها ولا إحصاء — محمد ذلك الرسول الصادق الوعد الأمين هذا الرجل الذى جاهد الكفر والشرك والإلحاد والذى زلزل الأرض بمن عليها وجعل الملوك والقياصرة تحسب له حساباً وتخاف دعوته الجريئة البريئة — هذا النبى الأمين الذى هدد عرش روما وبدد ملكها وهى فى أنصع أيامها وأزهر عصورها وأشد قوتها هذا الرسول النبى الأمى الذى هزم قيصر أشنع هزيمة وأضاع سلطانه بعد ما كانت له العظمة والكبرياء . كم من وقفه وقفها محمد أمام الأعداء بلاخوف ولا وجل وهو ينتصر لدين الله . كم من هزيمة أصابت الأعداء الذين كانوا يناوئونه ويقفون أمام رسالته . كم من مكيدة دبرت له ، وهو يخرج منها بإذن الله . وكم من حروب خاضها ونصره الله وكم من عقبة وضعت أمام دعوته وهو يذللها بغير صعاب .

وأخيراً كم عدد أصحابه الذين كانوا يشاطرونه هذه العمليات وينتصرون معه دائماً وكم عدد الذين كانوا يقفون بجانبه فى وسط الميدان ويواجهون العدو المتغطرس وجهاً لوجه . هل كانوا عدداً أكثر من جيوش الأعداء .

كم من وقفة وقفها واحد من صحابة رسول الله منفرداً أمام أكثر من مائة من أعداء الله فينتصر عليهم بلا مشاق لان المسلم الواحد كان يقف أمام الاعداء وهو لا يملك قوة ولا ذخيرة غير إيمانه بالله ورسالة رسوله .

لقد كان جيش المسلمين لا يزيد عن المائة فى غالب الاحيان ولكن هذا الجيش القليل العدد يقف أمام جيوش أعدائه فيهزمهم شر هزيمة وقد تكون آلافا .

هل كان عند العرب الذين كانوا يقفون بجوار محمد فى الحروب من الذخيرة والمدمرات أكثر مما كان عند أعدائهم كلا . هل كانوا خبراء بفن الحروب درسوها كأعدائهم كلا .

شيء من ذلك كله لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان عندهم من الإيمان الصحيح والعقيدة الجبارة ما يزيل أمامهم كل العقبات ويجعل النصر حليفهم على الدوام .

أليست هذه القرائن وحدها تدل على صدق رسالته وصحيح نبوته ؛ أليس هذا البرهان لدال بأن محمداً أمينا فى دعوته غير مخادع أو مغرور ؟ أليس هذا ما يكفى أن يكون سلاحا بتاراً يشهره فى وجوه الخائنين الغادرين العاملين على قلب الحقائق أليس فى هذا ما يقنع البلهاء والمتخبطين بصدق رسالة محمد .

خبرونى بربكم أيها القوم أى دليل يكون أعظم من هذا الذى يدل دلالة صريحة على صدق رسالته وحقيقة نبوته .

وهنا يتحقق قول الله تعالى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وأخيراً

فقد كان شعار محمد فى غزواته وجولاته (لقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) .

ليتنى وجدت فى عهده لكنت أول من آمن برسالته ووثق بنبوته بل لكنت وضعت نفسى وما أملك تحت رعايته المقدسة .

« المسلمون فى أمريكا »

تحدثت مع شاب أمريكى وفد إلى القاهرة أخيراً لطلب العلم بعد أن أعلن إسلامه فى بلاده وقد التحق إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

قال إنه أسلم منذ عامين وأن المسلمين فى أمريكا يزاولون طقوسهم الدينية فى حرية كاملة ذلك لأن حرية الأديان فى الولايات المتحدة الأمريكية مكفولة للجميع وأنهم يقرأون القرآن وأنهم هناك يحبون الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وأن تسجيلاته المرتلة والمجودة تجد سوقا رائجا وكذلك الشيخ مصطفى إسماعيل ذلك لأنهم سافروا إليهم مرات عديدة وأنهم كانوا يقابلون هناك بمظاهر المحبة والأخاء والإكرام .

وقال أن أصحاب الأعمال هناك فى المؤسسات والمصانع والمتاجر يعارضون العاملين فى هذه المرافق من المسلمين فى أداء الصلاة وقت العمل خصوصاً يوم الجمعة حيث تقام الصلاة الجامعة للمسلمين « صلاة الجمعة » أما الموظفون فى المصالح والمؤسسات الحكومية فهم يسمح لهم بالخروج لصلاة الجمعة من غير معارضة من رؤسائهم على أن يعودوا ثانياً إلى عملهم من غير أية صعوبات .

وقال إن المراكز الإسلامية فى أمريكا متعددة وأن المسلمين أمريكيين كانوا أو شرقيين بيض أو سود رؤساء أم مرءوسين الكل هناك سواء فلا فرق بين أبيض أو أسود غربى أو شرقى إفريقى أو إسيوى الكل

هناك سواء ولا يوجد بين المسلمين أية آثار للتفرقة أو العنصرية ، المصالح مشتركة والأفكار متبادلة والقلوب وثيقة الإتصال ، إننا نجد أنفسنا فى هذه المراكز كأننا فرد واحد متعاونين متحابين متآخين حسب تعاليم الإسلام . وأن أى مسلم يحضر إلى مركز من هذه المراكز من مشارق الأرض أو مغاربها له مصلحة تقضى فوراً ويتعاون الجميع فى قضائها له وأنه عندما أعلن إسلامه وأراد أن يسافر إلى مصر ليتعلم فى الأزهر ويلتحق به ويدرس الإسلام على حقيقته عرض رغبته هذه فى المركز الإسلامى على إخوانه هناك فوجد قبولا واستعدادا كريماً من الجميع فى مساعدته وقام رئيس المركز وهو أمريكى ممن عاشوا فى القاهرة فترة طويلة ودرس فى جامعاتها وهو متفقه فى العلوم الإسلامية ويعرف كذلك اللغة العربية عرض على أولا أن أتعلم اللغة العربية قبل سفرى إلى مصر وقد تعهد بنفسه بتعليمى إياها وبعد أن قضيت فترة كبيرة فى تعليمها وأصبحت أتكلم بها نوعاً ما أدخلنى معهد اللغات الشرقية عندنا ودرست فيها حوالى عام وأصبحت أتكلم اللغة العربية جيداً وقد اتصل عن طريق المركز الإسلامى بالقاهرة واتفق على عمل اللازم لدخولى جامعة الأزهر ودراستى فيها .

ولم يمضى على ذلك بضعة أسابيع ، أى على اتصاله بالقاهرة ، حتى أخبرنى بأن جامعة الأزهر على استعداد لإستقبالى طالباً فيها وفعلا حضرت إلى القاهرة وقابلت المسئولين فيها كما اتصلت بالجامعة الأزهرية فوجدت ترحيباً من الجميع وأنا الآن طالباً فى كلية اللغة العربية منذ شهرين .

وقال أن الإسلام ينتشر فى أمريكا بين الزنوج أكثر منه بين البيض ولكنى ألاحظ الآن وفى هذه الأيام الأخيرة وبعد أن زارنا من رجال الدين الإسلامى فى رمضان شهر الصوم والخير والبركة أقول بعد أن زارنا نفر من رجال الدين الإسلامى ومعهم المشايخ عبد الصمد والحصرى ومصطفى إسماعيل لقراءة القرآن فى أمريكا وتعريف الوعاظ الذين حضروا معهم

الإسلام وشرح مبادئه أقبل على الدعوة الإسلامية كثير جداً من الأمريكيين البيض خصوصاً المثقفين منهم والمتعلمين شباباً وشيوخاً وأن النهضة الإسلامية مبشرة بالخير الكثير إن شاء الله .

وقال أن بعثات المراكز الإسلامية فى أمريكا يغطيها فى النفقات القادرين من المسلمين هناك وأن فيه مساعدات كبيرة تصل إلى المراكز من البلاد الإسلامية .

وقال أن لديهم هناك مكتبة كبيرة فيها كثير من الكتب الإسلامية والمصاحف بجميع اللغات وكذلك كتب الأحاديث النبوية المنقولة عن النبي محمد ﷺ وكذلك كتب الفقه الإسلامى وفقه السنة للشيخ سيد سابق وكتب كثيرة للشيخ الغزالى وغيرهم من رجال الدين والمؤلفين .

هذا وقد تلقينا فى الأيام الأخيرة قبل حضورى إلى مصر مجموعات كبيرة من الكتب الإسلامية من لجنة البحوث الإسلامية بالأزهر وفيها مؤلفات لشيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود .

وقال أن المكتبة فى المركز الإسلامى فى أمريكا تضم آلاف الكتب العلمية والأدبية والإسلامية وهى مباحة للمطالعة فيها للجميع حتى لغير المسلمين وأن هناك أمين مكتبة من علماء المسلمين المتخصصين فى تنظيم المكتبات وأن الجميع يستفيدون منها ويطالعون فيها بانتظام وبشكل مجموعات وأقسام فمثلا فيها قسم الأدب وقسم الدين وقسم العلوم . أما دراسة الفقه الإسلامى والتعاليم الإسلامية وقواعد الإسلام فيوجد فصول منفصلة للقرآن والحديث والفقه الإسلامى فى كل يومين تدرس مادة من هذه المواد للمنتسبين.

وقال أن هناك مستشرقين كثيرين يغيرون الحقائق ويحاولون أن يدسوا فى التعاليم الإسلامية ماهى بريئة منه وأن يظهروا الدين الإسلامى بمظهر لا يليق بتعاليمه وأهدافه .

ولكن المسلمون هناك والذين يفهمون حقيقة الإسلام والذين اعتنقوه عن علم وفهم ودراسة يقفون أمام هؤلاء المستشرقين المتغطرسين المغرضين وقفة حازمة صارمة .

ولا أنسى أن هناك مستشرقين آخرين ممن آمنوا إيماناً قوياً بالدين الإسلامى فهم يفهمونه حق الفهم وهم يتعاونون معنا وهم يقفون إلى جوارنا ويعملون جهده استطاعتهم لنشر تعاليم الإسلام فى تعقل وكفاءة وهؤلاء المستشرقين المؤمنين الفاهمين للدين الإسلامى نجدهم دائماً معنا فى المراكز الإسلامية بصفة دائمة متعاونين متفاهمين موجهين لنا ومرشدين وهؤلاء المستشرقين المؤمنين بالإسلام يوجهون دائماً الضربات الموجعة لإخوانهم المستشرقين الآخرين الذين هم من ذوى الأغراض اللادينية .

وقد ختم حديثه معى بقوله أن كل ما يرجوه بعد تخرجه من الأزهر أن يعود إلى بلاده ليرفع راية الإسلام عاليا يدعو إليه ما استطاع إليه سبيلا ويعلم اللغة العربية لمن لم يعرفها وكذلك يعلم آداب اللغة العربية التى هى طريق معرفة الله وتلاوة القرآن الكريم ومطالعة السنة النبوية والفقه الإسلامى وهو يرجو أن يوفقه الله لأن يكون من دعاة الإسلام والعاملين على نشره بين الأمريكان وغيرهم من أبناء الغرب الذين هم فى أشد الحاجة إليه وإلى تعاليمه المنقذة لهم من الضلال الذى يتخبط فيه العالم الآن ، وأنا أريد أن أبين للناس الفرق بين الإسلام ومبادئه وبين الأفكار اللادينية والإباحية والمادية التى يتشدقون بها وينشرونها من حين لآخر بين السذج والقاصرين والتى يروجها ويمولها أناس لا دين لهم ولا خلق ولا إنسانية .

زعيم البوذيين فى كوريا الجنوبية

يشهر إسلامه ومعه ٧٩٠٠ بوذى

كيم سانج — سن ٨١ سنة — رئيس معبد « بينجو » وزعيم البوذيين فى كوريا الجنوبية ، أشهر أخيراً إسلامه ، وأطلق على نفسه اسم « أبو بكر ».

تم الشهر على يد العالم المصرى الدكتور حامد الخولى ، ومبعوث المملكة السعودية لنشر الإسلام فى كوريا الجنوبية ، وقد بلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام فى كوريا الجنوبية ٧٩٠٠ شخص ، وذلك خلال أربع سنوات من إرسال الملك فيصل — رحمه الله — بعثتين من العلماء إلى كوريا الجنوبية ، وفى أول مايو القادم يفتتح أول مسجد فى كوريا .

* * *

« للعلم حدود لا يتعداها »

عن مقال لسوان هنا روتج الكاتب الأمريكى

إن العلم والفلسفة يبدوان بعيدين كل البعد عن متناول عامة الناس ولكن الواقع أنهما ليسا كذلك ، فإن أجيالا متعاقبة من بنى الإنسان تناولوا معضلة الخلود بالبحث وبحثوا غوامض ما وراء الطبيعة والمادة مما يرون العلماء والفلاسفه أن يطلقوا عليها أسماء ضخمة متعددة المقاطع وهم لا يعرفون عنها إلا القليل الذى يعرفه عامة الناس ولكن ابتكار تلك الأسماء الضخمة تجعلهم يشعرون بالبراعة والعبقرية ويتخذون منها ستراً يوقفون به التقدم والحقيقة أنهم لا يحيطون منها إلا بالنزر اليسير .

والواقع أن الفرد العادى ليس أقل تفكيراً فيما وراء الطبيعة والمادة من الفيلسوف الكبير ، فكلاهما تائه فى متاهة هذا التفكير ، فإذا تعمق فيه

واندفع إلى أقصى حدوده أفضى به فى النهاية إلى الشك المطلق والإعتقاد بعبث ما يبذله من مجهود .

ونحن فى هذا العصر عصر العلم والتعليم ليس لنا غرض أسمى من التغلب على العامية ، فلابد لكل فرد أن يعرف القراءة والكتابة سواء كانت العقول والعواطف قد هذبت وصقلت ، أو بقيت على خشونتها مما يفضى بأصحابها إلى السخف والهذيان .

فالآراء والأفكار المشككة التى تخامر ذوى الحصافة الحقيقية تتدفق بسرعة إلى ذوى العقول الضعيفة فيجد فيها مرتعاً خصبا حيث يسيئون فهمها ويتخذون منها ذريعة للاستهانة بنظام الوجود ، وقد يأمن ذوو العقل الراجح النقاد مغبة الإعتقادات غير الثابتة التى لم يقم عليها دليل وله أن يكون متشككا إلى حد بعيد ، لأن مثله من يقدر قيمة كل اعتقاد ، ويعرف أن الإعتقادات الفطرية لا يجب أن تسيطر على الأعمال ، فهو إذا عمل اتبع الحقائق الثابتة ولم يجر وراء الخيال .

ولكن الأمر بعكس ذلك فالعقول الضعيفة حيث تسيطر العقائد على الأفعال ، وليس لذلك علاج خير من أن يسيطر ذوو العقول الكبيرة على معتقدات العامة ويشكلونها بحيث يجعلونهم يعملون تبعا لعقيدة صحيحة بما يعود على الهيئة الاجتماعية بالخير والإسعاد .

لأن الفرد العادى إذا استسلم للشك أصبح غير أهل للقيام بواجبه نحو المجتمع فلا يعول عليه كأحد أفراده .

والمفكر البحاثة كالعالم الكبير مثلا يقبل تلك العقائد غير الثابتة — التى تستند كأصول العلوم على مجرد فروض يقول إنها بدهية — كما يقبل التقاليد الاجتماعية أو آداب الرسميات الدقيقة ، فهى لاتحتاج فى نظره لدليل بل هو يؤمن كل الإيمان بالبناء المنطق الذى يقيمه عليها مع أن هذا البناء لم

يقم إلا على البحث العقلى المحض الذى قوامه الدليل والبرهان .

فعقائد المفكر البحاثه كما رأيت لا تستند إذاً إلا على مجرد الفرض ، الفرض لا يعوزه الدليل فهو مقبول لديه على أنه بدهى وحسب ، ومثله مثل تلك القواعد الأولى التى بنى أقليدس هندسته المنطقية الطريفة فهى هى وحسب ، وقد تظهر أحيانا وفى حالات معينة أنها تستند على مجموعة قوية من الحقائق الثابتة ، وهذا كل ما يمكن أن يقال فى تأييدها .

وإننا إذا عرضنا آراء العلماء لمحك الإختيار رأينا أنهم يبدون ظواهر الطبيعة عقب حدوثها فى صور معقولة ليؤيدوا آراءهم بما يتفق وأميالهم العلمية ، فيجعلون من الظواهر مبدأ وأساساً لعلومهم دون أن يفقهوا ماوراء هذه الظواهر من حكم وأسباب ، والواقع أن ما يحتاج إليه اليوم عامةالناس هو الاعتقاد بما وراء الطبيعة والمادة مما يتسنى لذوى الخبرة والدراية من علماء النفس والحياة أن يهيئوه لهم . وسيظل العلم مقصراً فى أداء واجبه نحو الهيئة الاجتماعية إلى أن يبذل السعى فى هذا السبيل وإلا استحق ما يوجه إليه من اللوم والنقد ، فيحتمل أن يحيط العلم بنقط العلاجات الطبية الدقيقة أو يستغرق فى أبحاث عميقة عن الحيوانات الدنيا أو غيرها ، ولكن المعضلة الحقيقية التى تواجهه هى أن يسيطر على المجتمع وعامة الناس بحيث تيسر له أن يوالى أبحاثه الإنسانية ويطبقها على المجتمع بدون أن يصطدم بعقائد أولئك الذين يود أن يمد لهم يد المساعدة .

ومعنى هذا أن واجب العلم الأعلى هو أن يهيء للناس عقائد صحيحة ويدربهم عليها حتى يتيسر لعامتهم أن يقوموا من الأعمال بما يتناسب مع ما أوتوا من ذكاء ومقدره معتمدين على قوة هذه العقائد التى يعدونها ثابتة لا تقبل النقض والجدل . وإن كثيرا من الناس يتخذون اليوم من العلم مقياسا يقيسون به كل شيء حتى الدين ، فإذا أيد عقيدة دينية أصبحت هذه العقيدة أشد رسوخا وأكثر صوابا ، وإلا فإن هذه العقيدة تضعف وتخور .

على أنه يتضح مما ينشر بالجرائد والمجلات الشائعة أن العلم لن يصبح « المهدى المنتظر » لعامة الناس ؛ والواقع أن فائدته قاصرة من هذه الناحية لأنه يعترف صراحة بأنه يستند على فروض بحتة . ولكن الدين فضلا عن أن بناءه منطق معقول فهو لا يستند على فروض نظرية بل يستند على أساس فوق العقول هو أساس العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء .

فالعلم يقول ها نحن أولاء عند الأساس . فهو هو ، فالنقم عليه صرحا رائعاً ، ولكن الدين يقول هاك الأساس الذى لا يعتوره التغيير ولا التبديل الأساس الذى وضعه الله العالم بكل شيء تاما كاملا من الأزل إلى الأبد ، فالتقم عليه صروح الحياة المثلى ، فمهما آل إليه أمره فى النهاية فإن أساسه قاطع بات لا مرية فيه .

والواقع أن العلم ما هو إلا عقيدة موضوعة بطريقة حازمة ، أو هو عقيدة لأقلية المفكرين من الناس لا لعامتهم ، ويختلف عن الدين فى موقفه إزاء مبادئه العامة تلك المبادىء التى لا تتعدى كونها فروضاً بحتة يسلم بها العلم على أنها فروض ولا يعتبرها نهاية بأى حال .

فالعلم يفرض مثلا أننا نصل بالملاحظة وإجراء التجارب إلى استنباط القواميس الطبيعية باستنتاج معلومات خاصة ، وهذا افتراض فى نفسه ، لأن الملاحظة وإجراء التجارب كثيرا ما أنتجا عقائد باطلة كما أنتجا عقائد صحيحة ولن يمكن أن نقيم الحجة على صحة الفرض عقليا فحسب ، ومن هذه النقطة — لابد فيها — يتابع العلم سيره ، وعلى هذا المنوال يفرض العلم علة الوجود وإطراد وقوع ظواهره تبعا للقاموس الطبيعى . كذلك يجابه العلم مبدأ لا يسلم به العقل فى افتراضه أن السبب والمسبب هما هما وحسب ، وفى شفقه وهيامه بالمراد وقوع الظواهر الطبيعية وانتظامها كفكرة أن الشمس سوف تشرق غدا لأنها أشرقت أمس ، وأنه لن تقع معجزة خارقة كذلك لأن القاموس الطبيعى يأباها . فالعلم فى كل ذلك يفترض فروضا جديدة .

جلس مرة عمثل هزلى إلى المعزف (البيانو) وقال : « سأعزف الآن

هذه القطعة ليعزفها بادروسكى لو أنه عزفها كما سأعزفها » .

وهذا هو موقف العلم إزاء الظواهر الكونية . فنحن نرى القمر وهو الذى يرسل شعاعه إلى عيوننا ، وقد نرى شبحا من الجن كما رأينا القمر رؤية مؤكدة فلايكون فى نظر العلم شبحا من الجن بالرغم من رؤيتنا له لأن العلم لايعترف بوجود الجن كذلك القول ليوم بامكان وقوع المعجزات وخوارق الطبيعة ؛ فالعلم يقول بعدم امكان وقوعها لأن ذلك لا يتفق ونظام القواميس الطبيعية مع أن العلم هو الذى استنبط هذه القواميس باستنتاج معلومات خاصة من الظواهر الطبيعية — هذا إلى أنه لا يمكن أن يدلى بالدليل القاطع على صحتها لأنه من المستحيل على العلم أن يثبت من كل خاصة على حدتها فى أية ظاهرة من ظواهر الطبيعه ؛ فلماذا وحقك لايجيز وقوع الخوارق بين الخواص الكثيرة التى لا يحيط بها ؟؟

ليس لذلك سبب معقول ولكنة يصر على أنها لاتحدث . فإذا حدثت وقف أمامها باهتاً مذهولا لماذا لايقرر العلم وجود خالق هو سبب الوجود الأول ؟ إننا لانجد لذلك سبب سوى أن العلم لا يريد أن يجعل ذلك مبدأ له ولكن مافائدة مبدأ إطراد الناموس الطبيعى إذا القضيه الطبيعة بخارقة من الخوارق !

ولماذا يكون العلم التجريبى المستمد من الاستقصاء والتجربة أعظم قيمة وأجل قدرا من العلم الوجدانى الذى يلقى فى روعنا ويشعرنا بأنه الحق الصراح ؟

ليس لذلك من سبب سوى أن العلم يقبل الأول ويسلم به ؛ ويرفض الثانى على أنه لا يعول عليه .

وهنا نجد بعض الإلتباس فى آراءعلماء الطبيعةوعلماء النفس ؛ فالأولون يقولون إن كل مافى الوجود آلى سواء كان سببا أو مسببا ؛ والآخرون يقولون إنه وجدانى وإن الوجدان هو الكل فى الكل .

على أنه من الممكن أن تجمع بين الرأيين المتفرقين فى وحدة كاملة لفرض الدراسة والبحث وبخاصه فى هذه الأيام التى أصبح فيها علم الطبيعة أساسا قياديا للبحث الفعلى من قبل ، فقد جاء ضمن مقال للورد هالدين بمجلة القرن الصادرة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أن أينشتين العالم الألمانى المشهور صاحب النظرية النسبية . قد أظهر لنا أن الزمن والفضاء ليسا إلا نسبة بين العقل وما نراه من الأشياء ، وأن هذه النسبة تتغير بحسب سرعة العقل الذى يراها. فنرى من ذلك أننا قد رجعنا إلى العقل حتى فى علم الطبيعة فليس هناك غير العقل شيء وليس لأى شيء معنى بدون العقل .

كذلك يقولون إن نظرية التطور (النشوء والارتقاء) تستند إلى طريقة علمية هى طريقة الاستقصاء والتجربة ، ولكن علام يستند هذان ؟ فالاستقصاء والتجربة قد أتيحا حتى فى نظرية التطور أفكارا وعقائد خاطئة تبينت فيما بعد ، فإذا كان الأمر كذلك فأى عقائد الطبيعيين صحيح اليوم وأيها خاطيء ؟

يقول الطبيعيون إنه يستحيل تعيين الخاطيء منها خطأ تاما والخاطيء بعض الخطأ ، ويعتقدون أن التقدم العلمى سوف يحول النظرية (نظرية التطور) إلى مبدأ صحيح يسلم به الجميع ، ولكن الطبيعيين يعترفون أن مبادئهم الأساسية ماهى إلا فروض وحسب ، فهى إذن لا تستند على طريقة علمية صحيحة . هذا إلى أنهم يعترفون بأن طريقة البحث العلمية قد أنتجت ـ مرارا وتكرارا ـ أفكارا خاطئة فى دائرة العلم المحدودة التى يدرسونها . وما يدرينا أن اعتمادهم على الطريقة العلمية واعتقادهم بتقدم العلم ليسا من العقائد الخاطئة أيضا ؟

ولنسلم معهم جدلا أن نظرية التطور أصبحت صحيحة فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة أنها تصبح مبدأ قاطعا يسلم به كل إنسان غير مستندة

فى ذلك إلى حقيقة أو استقصاء أو تجربة أو طريقه علمية بل تصبح كذلك لأنها هى هى وحسب ، وبذا تصير نظرية التطور كنظريات العلم الأخرى عرضة للنقد والتجريح إذا بحثناها من أساسها بحثاً عقلياً .

نعود الآن إلى حيث بدأنا فنقول إنه لابد لكل إنسان من أساس لعقيدته والناس يعتقدون مايشعرون بصلاحيته وصحته فيتخذون من عقيدتهم ما تقيهم شر الشك والفوضى التى تلحق الفكر من جرائه ويلتمسون منها ملجأ آمنا وأساسا متينا يشيدون على صرح عقولهم ويكفون به أنفسهم مؤونة الشعور بعبث الوجود .

والواقع أن ما نراه من النظام فى العالم ليس إلا ما تخلفه عليه عقولنا وأننا لا نحيط من أسرار العالم إلا بالنزر اليسير .

ولذا كانت المعجزات وخوارق الطبيعة تستند إلى سبب أقوى من القوانين العلمية لأنها تشير إلى تلك الرغبة الإنسانية المعقولة فى وجود رب رحيم يكلؤنا بعنايته ويتولانا برحمته ، على حين أن الناموس الطبيعى لا يعبأ بنا أو يعنى بأمر من أمورنا ، فإنه وحده هو المرجع والأساس .

وواجب العلم أن ينظر إلى الحياة فى جملتها ، وأن يخفف من غلواء عقائده الجازمة بشىء من الشك ، ويلتمس — رضا النفس والعقل بدلا من الجزم بصحة نظرياته التى لن تحيط من أسرار العالم بكل شىء .

« الطابع الأدبى للاسلام »

عن مجلة العالم الإسلامى الألمانية

فى أفريقيا الشرقية يمتاز الإسلام بين الأديان الأخرى فى هذه الجهات بأنه دين جاء به كتاب سماوى ، والكثير من الأهالى يتفننن لهذا السبب

فى كتابة الحروف العربية وقراءتها ونجد ثمرة ذلك فى لوحات معلقة على أبواب منازلهم ومتاجرهم ، وفى كثير من الخطابات والقصاصات المختلفة . ومما يلفت النظر كذلك أننا نجد بين حين وآخر أناسا يقرءون من كتب عربية أمام منازلهم ، وبالإختصار فإن قليلا من الملاحظة تكفى لبيان أن للإسلام فى هذه الجهات أثرا كبيرا فى الطابع الأدبى بها .

وتزداد هذه الظاهرة وضوحا بسبب تفشى الأمية بين أصحاب الأديان الأخرى ، إلا أنه كثيرا ما توضع اللوحات العربية لمزدانة بآيات قرآنية على أبواب المنازل والمتاجر — كما سبق ذكره — لأغراض أخرى مثل إبعاد الأرواح الخبيثة .

وتقوم فئة المدرسين بتلقين تلاميذهم قواعد الكتابة العربية ، حتى يتمكنوا من استذكار بعض الآيات القرآنية وحفظها عن ظهر قلب دون أن يقدر أغلبهم على تفسيرها ، وكذلك كثير من المدرسين أنفسهم لم يصلوا إلى درجة من العلم تمكنهم من تفسير القرآن ، وتوجد طبقة أخرى أعلى من مجيدى الكتابة يقدر الكثير منهم على قراءة القرآن قراءة صحيحة وتفسيره أيضا ، ويطلق عليهم لقب « الشيوخ » ولا يقل عددهم فى مقاطعه أوسارمور — إذا استثنينا مدينتى دار السلام وباجامايو — عن أحد عشر .

وينقسم المسلمون فى هذه البلاد إلى طوائف مختلفة . فمنهم المسلمون المهاجرون الذين نزحوا إلى هذه البلاد من الخارج ، ومنهم الأهالى الوطنيون ، وكذلك منهم من هو من أصل هندى ولا أثر له فى إسلام بهذه البقاع ، ومنهم من هو من أصل عربى . ويتكلمون العربية كلغة أساسية ، ولو أن بينهم من يتبع مذاهب مختلفة ، إلا أن الجزء الأكبر منهم كان له الأثر الكبير فى الإسلام هناك — وأما اليوم فإن المثل الحقيقى للديانة الإسلامية هم الأهالى الوطنيون وليس هم الغرباء ، وهم وحدهم الذين يهمنا معرفة مبلغ ماوصلوا إليه من الثقافة الأدبية بفضل الإسلام .

والباحث عن كثير فى أحوال هذه القبائل يمكنه الوصول إلى معرفة درجة العلم والأدب التى هم عليها ، وقد يكون فى أخبار من لم يبحث بنفسه فى دخائل الأمور الأدبية ونوعها وحقيقتها شىء من التضليل .

وإنى سأجتهد هنا ما أمكن فى الابتعاد عن آداب لغتهم الأصلية التى وإن كانت مدونة بالحروف العربية ، إلا أنها ليست بالعربية ، وليس للعرب أو الإسلام فيها أى أثر . وعلى هذا النهج نحا الأستاذ الكاتب فى مقاله « القواعد الأدبية فى إسلام أفريقيا الشرقية الألمانيه » الذى نشرته مجلة « الإسلام » الألمانية فى الجزء الرابع من المجلد الثانى ص ١٨ ، ولم يهتم بهذه الناحية من آداب اللغة الأصلية سوى بعض علماء الكنيسة الإنجيلية ، أمثال كرايف وبوتنرومايتهوف ، ونشرت لهم أبحاث قيمة فى هذا الصدد فى مجلة « لغات المستعمرات » الألمانية عام ١٩٦١ .

والذى يهمنا الآن البحث فيه هو اللغة العربية لاقترانها بالإسلام فى ثقافة هذه البلاد .

ومما يجب التنبيه إليه — مخافة الوقوع فى اللبس — أن درجة استعمال الكتب ليست دليلا على اهتمام الناس بالقراءة ، فكثيرا ما تستعمل كتب الدين والتفسير لاقتباس أحكام الشريعة الإسلامية ، فتترك الأيدى أثرا على الكتب دون أن يدل ذلك على استعمالها للقراءة أو نحو ذلك ، كما أن كثيرا من أصحاب هذه الكتب لايجيدون قراءة اللغة العربية ، ولذلك يجب عدم التسرع عند الحكم على مقدار الإطلاع أو تأثير محتويات الكتب العربية على هذه الفئة .

وكثيرا ما يخطىء المدرسون الوطنيون فى ترجمة أو كتابة الجمل العربية ، وقد ثبت لى ذلك بوضوح فى كثير من المواقف ، وقد رجع ذلك إلى أن الكثير منهم يعرف الحروف العربية ، ولكنه لم يصل فى معلوماته إلى درجة فهم اللغة بتاتا ، أو على الأقل على الوجه الصحيح .

وكثيرا ما يختلط الإنسان أن يعرف بالضبط الدرجة التي عندها يصل المدرس إلى تفهم معاني الجمل والعبارات العربية على الوجه الأكمل، ولكن يغلب على الظن أن هذه الدرجة يصلها المدرس عند حصوله على لقب شيخ، ولو أن درجة إتقان الشيوخ للغة العربية تتفاوت . فقد تمكن أحدهم من سكان الحضر من ترجمة إحدى العبارات العربية ترجمة صحيحة على حين ادعى الآخر من سكان الريف أن أغلب العبارة — وهي آيات قرآنية — لا يمكن ترجمته ، وأما الباقي فكانت ترجمته في الجوهر قريبة من الصحيحة ، ولو أن كلا من الشيخين ليسا من علماء اللغة العربية ، إلا أن ترجمتها كانت قريبة من الأصل ، وذلك في الجمل العربية المأثورة .

وقد وصلت إلى مثل هذه النتيجة في حديثي مع مدرس لغة إفريقيا الشرقية الألمانية الأصلية في معهد لغات المستعمرات في هامبورج المدعو ابن بكرى بخصوص معرفة أهالي تلك البلاد بالقراءة والكتابة ، وهو يقسم مسلمي تلك البلاد من هذه الوجهة الأدبية إلى قسمين : فمنهم من يشهد الشهادة بالله ورسوله ، ولكنه لا يعرف من قواعد الإيمان شيئا ومع ذلك يعتبر مسلما ، وأما أن يستمر في طلب العلم فإنه يدرس قواعد الإسلام الخمس ، وهي الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج وقد ذكر ابن بكرى في حديثه لي أن كثيرا من مسلمي هذه البقاع لا يعرف من هذه القواعد شيئا حتى ولا الشهادة . ولا يمكن لغير الشيوخ إعطاء معلومات خاصة بقواعد الإسلام الخمس حتى أن المدرسين أنفسهم ينقصهم بعض العلم بها وأنه — أي ابن بكرى بالرغم من أنه كان تلميذا على أحد شيوخ مدينة باجامايو الكبار المدعو أبا بكر لم يعرف شيئا عن قواعد الإسلام الخمس وهو في السنة السادسة عشرة من عمره ، في حين أنه كان قادرا على قراءة القرآن وعلى كتابة الخطابات بالحروف العربية ولو أنه لا يفهم اللغة نفسها ، ولكنه ابتداء من ذلك التاريخ بدأ دراسته الحقيقية في الشريعة والصلاة والوضوء وهذا ما يطلق عليه هناك إسم العلم .

ويميل ابن بكرى إلى اعتقاد أن الفرق بين المدرس والشيخ هو أن المدرس يقرأ القرآن ولا يعرف العربية ، بعكس الشيخ الذى يقدر على تفسير القرآن ومطلع فى العلوم العربية .

ولا يسعنى إلا أن أقرر أن ملاحظات ابن بكرى تتفق مع ما وصلت إليه من أبحاث ، إلا أن ابن بكرى يذهب أبعد من ذلك فى التفرقة فى صفوف الشيوخ أنفسهم فمنهم من يبحث فى أمور الدنيا ـ ومنهم من يبحث فى أمور الآخرة فالفريق الأول لا يهتم كثيرا بأمر الدين اهتمامه بالأحكام الإلهية والآيات وطرد الأشباح الخ .

وأما الفريق الثانى فيعترف بوجود الشياطين والأرواح والجن ، ولكنهم لا يعترفون بما يعتقده الفريق الأول من المس ، ويقولون إن الله لا يرسل الشياطين والأرواح بفساد الإنسان — وأغلبية المدرسين يتبعون فريق الدنيا .

وقد اهتممت كثيراً بمعرفة نسبة عدد كل فريق إلى الآخر ولكن ابن بكرى لم يتمكن من تعين أسماء الشيوخ أصحاب نظرية الآخرة — غير أنه ذكر اسم مدرسة أبى بكر الذى هو واحد منهم ولم يعين غيره من شيوخ باجامايو دار السلام أو فى القارة الإفريقية على العموم . وذكر أنه يغلب على ظنه أن فى زنجبار كثيراً منهم ولو أنه لا يعرف أسماءهم .

وقد يرجع ذكره إلى غيرة بعض الشيوخ وتلاميذهم من البعض الآخر ، فقد حدث أنى ذكرت اسم ابن بكرى أمام أحد شيوخ مدينة دار السلام فأظهر هذا شكا فى مقدرة ابن بكرى باللغة العربية ، ولو أنه يعلم تمام العلم أنه أحد تلاميذ الشيوخ الكبار .

وقد تكون هذه الحقيقة ذات أهمية كبرى لثانى أبحاثنا ، وهى أن كلا

منهم كثير الشك والريبة في مقدرة الآخر على فهم اللغة العربية على أصولها الصحيحة .

أقتصر الحديث إلى هنا كما بينت في أول المقال عن المسلمين من الأهالي الوطنيين أما الغرباء المهاجرون الذين أغلبهم من أصل عربي أو هندي فهم كما ذكرت آنفا لا يمثلون الإسلام في تلك البقاع ، ولا يغيب عن بالنا أن الجنس العربي الأصيل خصوصاً الذين هم من خضرموت ــ لهم اليوم أثر كبير في الإسلام وكل ما يتعلق به من الشئون في أفريقيا الشرقية الألمانية .

والآن ولهذا السبب يجدر بنا أن نبحث عن قيمة هذه الفئة الأدبية ، ويجدر بي أن أصرح أن ما وصلت إليه من المعلومات من هذه الوجهة لم يكن ليدل على اطلاع هؤلاء في الآداب كذلك لم يصل شأوا بعيداً ، ففي زنجبار تصدر جريدة تسمى « النجاح » وهي تمثل فكرة اتحاد المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ؛ ويصدرها جماعة من العرب الأباضيين اعتنقوا مذهب الشافعية منذ زمن قريب .

وظهر في العدد الخامس عشر في ٢ مارس سنة ١٩٦٢ مقالة تبحث في الأسباب التي من أجلها انحط مستوى الشعب العربي في أفريقيا الشرقية ، واعتقد الكاتب أن السبب لا يمكن أن يكون في طبيعة العرب أنفسهم ، كما أنه لا يكون بسبب داء عضال يستعصى دواؤه ، ولكن هناك أمور أخرى هي السبب في فساد الشعب ، وهذه الأمور ترجع في الأصل إلى سببين رئيسيين :

الأول — تدخل الأوربيين في تجارة البلاد الداخلية والخارجية ،وبذا تأخرت الزراعة والتجارة الوطنية التي اختصت بها الأهالي والحكومة منذ دخول العرب وقد عاق تقدم الزراعة منع تجارة الرقيق ، واقتصرت

بذلك ثروة البلاد على ما خلفه لهم الآباء ، فعندما فقدت أموالهم اضطروا للقرض من الأجانب الأوربيين حتى ثقلت ديونهم وذهبت ثرواتهم وكثرت شكواهم وإتهمهم الناس بالكسل والاستكانة ولكن الأمر فى الحقيقة هو غير ذلك ، بل هو الوقوع فى حالة اغماء ، والجمود رغم الإرادة .

وأما السبب الثانى فيرجع لعجز الأسلاف عن مساعدة الشعب من الوجهة الأدبية والعلمية ، فلم يتركوا تراثاً لثقافة أحفادهم من علم أو فن أو حرف ، فحال دون نبت الشجر أو إثمارة الجفاف وذبول فروعه وأوراقه .

وتجتهد جريدة النجاح فى شد أزر كل حركة ترمى إلى إزالة العائق الثانى وسد النقص من هذه الوجهة . وهذا المجهود من شأنه توحيد المسلمين من الناحية الأدبية ولا يرمى هذا المجهود فى مجموعة إلى إيجاد ثقافة عامة فحسب ، بل إن له نزعات وأغراضاً أخرى تتضح مما جاء فى نفس الجريدة فى العدد الخامس والعشرين منها الصادر فى ١٢ يونيه سنة ١٩٦٢ حيث ذكرت أن آراء العلماء قد اجتمعت على أن الشرق ينقصه كثير من العلم والخبرة العملية ، ولكن ذلك ليس هو ما ينقص الشرق مباشرة بل إن النقص الأكبر هو فى الوحدة القوية التى لا تجىء إلا عن طريق العلم والعمل ، لأن العلم والعمل كل فى حد ذاته لا ينفع الشرق كثيراً ولكن الإتفاق وربط كلمة المسلمين هى مفتاح كل خير وسعادة للعالم الإسلامى .

ولقد اختار رسول الله هذا الطريق ، فإن الوسيلة كانت حتى زوال سطوه الإسلام عن طريق الأخاء الدينى ، وليست عن طريق العلم أو العمل وحده الذى لم يبلغ أحد منهما مابلغ الرسول أو الخلفاء .

يتضح مما سبق ذكره أن الحكم على الحياة الادبية وأثر الإسلام فيها فى بلاد أفريقيا الشرقية ليس من الامور السهلة ؛ وهو من طريق بجمع المعلومات

بواسطة المحادثات الشفوية أصعب بكثير ، إنما لا مفر للباحث أن يسلكه على ما فيه من صعوبة وعقبات ، حتى يكون الحكم صحيحاً لا غبار عليه .

وصعوبة هذا المسلك فى هذه الأبحاث هى أنه كلما يصرح أحد الوطنيين بوضوح عن النقط التى تفيد الباحث الاوربى بطريق مباشر فى عمله . وهم حريصون جد الحرص فى تصريحاتهم ، بل هى فى كثير من الأحوال إما قليلة الأهمية أو متناقضة ، فلا ينص للباحث من هذه الوجهة سوى أن يلجأ إلى التقارير الأهلية فى هذا العدد ، ولو أنها كثيراً ما تكون مبنية على أساس غير دقيق . ولا بد من التحقق من وضعها واختيار صحتها ومقابلتها للحقيقة الواقعة ، وقد وقع كثير من العلماء الباحثين فى هذه الغلطة المبنية على التسرع وعدم الحيطه أكثر من مرة .

وأخيراً وقبل ختام هذا الموضوع يجدر بى أن أنبه أنه من الضرورى لدراسة الطابع الادبى للاسلام فى أفريقيا الشرقية الإحاطة التامة بالأديان الأخرى — وأغلبها وثنية — وما تحتمه من عادات وعبادات ، حتى يسهل للباحث أن يتعرف ما يمكن أن يعزى للاسلام من غيره .

فمن معتقدات الوثنية فى هذه الناحيه من الأرض أن الموت ما هو الا نداء الرب لعبده ، ومثل هذا من العقائد كثير فى الأديان التى تعتقد بوحدة الإله ، ولكنهم لا يقيمون شعائر خاصة احتفالا بموتاهم ، وقد كان الإسلام أثر ظاهر فى هذه العقيدة إتجاها نحو طرق فكرية أخرى هى وإن لم تختلف مع العقيدة الأصلية فى الجوهر إلا أن تباينها فى الطريق الفكرى . وذلك بأن جعلت الإعتقاد السائد الآن أن الموت ليس نداء الرب . وإنما هو موافاة الساعة (الأجل) المحتومة . وبذا تغيرت العقيدة الأصلية فى تفسير الموت من الوجهة الفكرية فقط دون أن يكون لذلك خطر على المقصود بالذات فى جوهر المعنى الأصلى .

ومثل ذلك أمر الاعياد والموالد الأهلية والدينية التى كان للاسلام أثر واضح فى تهذيبها أو إقامتها مع تغيير وجهة النظر العامة فى ماضيها أو نتائجها وبهذه المناسبات تجد تضاربا فى الآراء كبير يصعب معه تفسيرها أو الوصول بواسطتها إلى جمع معلومات تفيدنا فى بحث مثل هذا الموضوع المتشعب .

وأخيرا أشير إلى أنه لا يزال هناك عمل صعب كثير يجب تذليله قبل أن نصل إلى معالجة هذا الموضوع معالجة وافية ، ويجدر بالمهتمين بمثل هذه الأبحاث التكاتف فى جمع معلوماتهم خدمة للعلم والتاريخ .

« الإسلام فى بلاد الإنجليز »

جاء بمقال لمراسل الصنداوى بوست بلندن أنه قام بأبحاث مستفيضة عن إزدياد عدد البريطانيين الذين يدخلون فى الدين الإسلامى وهم بمعدل ١٠ فى اليوم استطاع بها أن ينشر عدة حقائق ممتعة عن تقدم الإسلام فى بريطانية . قال :

فى أنحاء الجزائر البريطانية ما يقرب من عشرين ألف مسلم بريطانى بينهم رجلان من ذوى الألقاب أحدهما اللورد هدلى المعروف باللورد المسلم والآخر السير أرشيبالد هاملير الذى يمت بصلة القرابة إلى جايمس الثانى ملك اسكتلنده — وهناك آخرون من رجال الأعمال المعروفين الذين اتخذوا الإسلام دينا فى السنوات الأخيرة . كما أن هناك مسجدا فى دكيج يؤدى فيه المسلمون الإنجليز مع إخوانهم الشرقيين المقيمين بانجلترا فرائض الصلاة ويستمعون إلى خطبة الإمام وهو شيخ المسجد .

أما فيما يختص بنظام الطبقات الإجتماعية فى الإسلام فيعتبر الغنى ظهيرا للفقير ويجلس بجانبه إلى مائدة الطعام كما يستوى كلاهما أمام الله . فليس

هناك فارق شخصى فى المجتمع الإسلامى بين غنى وفقير .

وشيخ جامع وكنج هو المحترم الاستاذ نظير أحمد وقد دار بينى وبينه حديث فهمت منه أن الشيخ فى الدين الإسلامى يسمح له بمزاولة مهنة مدنية أخرى وأنه هو نفسه كان مدرساً ومهندساً (معماريا) وأنه يتقاضى مرتبا رسميا بصفته شيخ المسجد .

ويحتفل بعقود الزواج فى هذا المسجد وممن احتفل بعقد زواجهم به المستر جون بارلنجتون فيشر إلى عثمان المهدى كما سمى نفسه حيث تزوج من الآنسة مارجريت روس أو « رشيدة » على الشريعة الإسلامية وقد تلى إمام الجامع خطبة القران المعتادة وهى جديرة بالإعتبار إذا قورنت بتلك التى تتلى بالكنيسة المسيحية الإنجليزية . وقد أوصى الزوج فيها بقوله « أن لا تضرب زوجتك الكريمة ضربك للأمة الحقيرة وأن تطعمها إذا أطعمت نفسك وتكسوها إذا كسوت نفسك وأن تقبض يدك عن صفعها على وجهها أو تسىء معاملتها أو تفترق عنها وقتا طويلا » وخاطب العروس بقوله « يجب أن تكونى الزوجة الصالحة التى ترضى بعلها إذا تطلع إليها وتطيعه إذا أرشدها وتحافظ على ما يملك إذا غاب عنها وبعد انتهاء الخطبة استخرج الإمام وثيقتين وقع عليهما الزوجان وأعطى العروس واحدة والزوج أخرى .

وذكر لى اللورد هدلى فى حديث دار بيننا أنه كان مسلما بقلبه من عدة سنين ولكنه لم يعلن ذلك جهارا حتى السنوات الأخيرة وهو الآن رجل متقدم فى السن لم يزل قويا تبدو عليه سيماء المهابة والجلال . وقد تلقى علومه فى كلية ترينتى بكامبروج حيث يوجد اليوم ـ كما يوجد بأكسفورد ـ كثير من الطلبة المسلمين .

وقد قام اللورد هدلى برحلات واسعة النطاق فى الشرق واشتهر كمهندس

(معمارى) وكان لدخوله الإسلام ـ الذى درسه إبان إقامته فى الشرق ـ شىء من إثارة الخواطر فى بلاد الإنجليز وقد تسمى كما تسمى غيره من الإنجليز الذين اتخذوا الإسلام دينا لهم باسم اسلامى هو الشيخ عبدالرحمن الفاروق.

وحج إلى مكة من زمن غير بعيد وهى المدنية التى يقدسها المسلمون والتى بها قبر النبى العظيم .

وقد أولت زيارته للشرق فى تلك المرة تأويلا خاطئا فى بعض الدوائر حيث قيل أنه أرسل فى مهمة سياسية ـ وذكر لى اللورد هدلى أن دخوله فى الإسلام كان نتيجة أعوام طويلة من البحث والتفكير وقال أظن أنى أول بريطانى مسلم حج إلى مكة وقد قمت بذلك علانية على أنى أعلم أن البعض قد حجوا إليها متنكرين فى زى رعاة الإبل .

وأخبرنى محدث آخر أن كثيرا من الغربيين قد ضحوا تضحيات مالية واجتماعية كبيرة حين خرجوا على كنائسهم ودخلوا فى دين محمد عليه السلام، والمسلمون هم أكثر من أى طائفة دينية أخرى عددا فى العالم . واستطرد محدثى القول بأنه يعرف واقعة حال جرت لضابط كان يؤدى الخدمة فى الشرق فى غضون الحرب الكبرى وقد درس الإسلام دراسة عميقة ثم اتخذه دينا وما علم رؤساءه بالأمر حتى استدعى فى الحال وأقيل من الخدمة . وهناك وقائع أخرى اضطر فيها الكثيرون لترك أعمالهم على أثر دخولهم فى الإسلام .

وليس فى الإسلام فارق جنسى (قومى) فقد يكون بين الجمع المحتشد بالمسجد صينيون وروسيون وزنوج وهنود .

وهناك أسباب مختلفة يذكرها البريطانيون لدخولهم فى هذا الدين فبعضهم

يقول أنهم سئموا موقف الجمود والتعصب الذى تقفه الكنيسة المسيحية والبعض الآخر يشعر أن فى الإسلام عاطفة إنسانية تدخل فى حياتهم اليومية وتمتزج بها فالمسلمون فى أنحاء العالم يتجهون كل يوم خمس مرات نحو مدينة الإسلام المقدسة ويقيمون الصلاة لله .

ويجب على كل مسلم يملك مقدار « نصاب » من المال أن يتصدق باثنين ونصف فى المائة منه للفقراء .

هذا : وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الخنزير محرم فى الإسلام .

أما السير أرشيبالدهاملتن الذى يقيم فى حسكس الغربية فقد قال فى إبرار أسباب اتخاذه الإسلام دينا « يظهر لى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يلائم جميع أجناس البشر فهو يعترف بالديانات الأخرى ولا ينكر فضل مؤسسيها العظام ، وإن مما أنكره على المسيحيين ما أراه من أنهم يقيمون شعائر دينهم يوماً واحداً من الأسبوع وينسون كل ما يتعلق به بقية أيامه ، ويأمل السير أرشيبالد أن يحج إلى مكة قريباً .

وقد علمت بعد تحريات أخرى أنه إذا استمرت زيادة المسلمين فى اسكتلندة على ما كانت عليه فى السنة الماضية فثمت أمل كبير فى بناء مسجد بها فى وقت قريب .

« كيف انتشر الإسلام »

عن الفرنسية من كتاب العقيدة والشريعة فى الإسلام

إن جماعة المسلمين فى عهد الخلفاء الذين جاءوا بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) مباشرة كانت سائرة فى طريق انتقالها من جماعة دينية مؤلفة بمكة (المكرمة) ثم من هيئة سياسية قائمة بالمدينة (المنورة) إلى دولة عالمية ،

وذلك بسبب توطد مركزها فى الداخل وامتداد سلطانها بالفتوحات فى الخارج ، فقد كانت تنشأ فى موطن الإسلام الأصلى وفى الولايات التى افتتحها المسلمون أحوال جديدة تستدعى تنظيمها وكان لا بد من وضع أصول للحكم .

وسنبحث هنا أولا فى بعض المقتضيات العملية الخاصة بالحياة المادية : فمما لا شك فيه أن محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وضعوا من التعاليم ماكان وافياً بالحاجات الماسة ، ولنا أن نصدق بالحديث القائل بأن النبى (عليه السلام) قد وضع فى حياته أساساً لجباية الأموال ، إذ فى زمنه قد أظهرت الأحوال أنه كان لا بد من رفع قيمة الزكاة من حالتها الأولى التى كانت عليها من حيث هى صدقة مستحقة لجماعة المسلمين إلى جعلها ضريبة حكومية منتظمة ومحددة بقيمة مفروضة .

وكانت توضع مثل تلك النظم تدريجياً حتى أخذت المكان الأول بعد وفاة النبى (عليه السلام) وذلك بسبب ضرورتها الذاتية. أما المحاربون الذين تشتتوا فى الولايات النائية ولا سيما الذين لم يكن أصلهم من المدينة (المنورة) ذلك المركز الدينى فإنهم لم يكونوا على دراية تامة بالواجبات الدينية فى أول الأمر .

فالحروب المستمرة والفتوحات التى كانت تمتد شيئاً فشيئاً كانت تتطلب وضع قواعد للقانون العسكرى ووضع أحكام تتعلق بضمان الحقوق العامة للشعوب التى أخضعت ، وللمحافظة على الحالة الإدارية التى نشأت عن الحكم الجديد .

وكان أول من وضع النظم الثابتة للمسائل السياسية والإقتصادية هو الخليفة المقدام عمرو بن العاص (رضى الله عنه) الذى يعتبر بحق مؤسس الدولة الإسلامية بسبب فتوحاته العظيمة فى سوريا وفلسطين وفى مصر .

وليس مما يعنينا أن نتوسع فى سرد هذه النظم للوصول إلى غرضنا ، إذ يكفينا أن نعلم على الجملة أنه بسبب الحاجات العامة أخذت الشريعة الإسلامية تنتشر عقب وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) مباشرة على أنه لابد لى أن أبين جانباً من تلك التفاصيل لما له من الأهمية فى توضيح حالة ذلك العهد الأول ، إذ لا يسع أحد أن ينكر أن أول الأوامر التى فرضت على المسلمين الفاتحين إزاء الأمم المغلوبة والتى كانت تدين بديانات أخرى لم تكن مصبوغة بصبغة التسامح فى العهد الأول لإنتشار الشريعة .

والذى نراه أيضاً فى أيامنا هذه قريبا من خلق التسامح الدينى، العادات السياسية للحكومات الإسلامية ، وهى مظاهر من القانون العام فى الإسلام التى كثيراً ما يرد ذكرها فى مؤلفات السائحين فى القرن الثامن عشر ، وهذا منشؤه المبدأ الذى وضع منذ النصف الأول من القرن السابع (الميلادى) وهى حرية الاعتقاد لغير الموحدين .

وإن فكرة التسامح فى العهد الأول للاسلام مبنية على قوله تعالى : (لا إكراه فى الدين) سورة البقرة آية ٢٥٦) وهى فكرة استند إليها فى الأزمنة المتأخرة وفى بعض الحالات لإيقاف تطبيق العقوبات الصارمة ، حماية لمن ارتدوا عن الإسلام وقد كانوا أكرهوا على اعتناقه .

وإن المعلومات التى لدينا عن الإسلام فى سنينه الأولى تورد لنا كثيراً من الأمثلة عن التسامح الدينى عند الخلفاء الأولين فى حق أبناء الديانات الأخرى . ولقد كانت التعليمات والنصائح التى كانت تسدى لقواد الجيوش قبل قيامهم للحرب من أبلغ النصائح وأفضل ما يقتدى به ، ومثال ذلك المعاهدة التى عقدت بين النبى (صلى الله عليه وسلم) ومسيحى نجران التى ضمنت احترام أوضاع المسيحية . وكذلك كانت خطته لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلى اليمن : ففيها جاء بألا يزعج يهودى فى يهوديته، وفى هذا المستوى

عقدت جميع معاهـــدات الصلح التى فتحت للمسيحيين الخاضعين للدولة البيزنطية ، اللهم إلا أن إقامتهم علنا لحفلاتهم الدينية كانت مقيدة ببعض التقييد .

وعلى العكس من ذلك فإنه مما يجب ملاحظته ما جاء فى بعض النقد التاريخى لبعض المصادر أن طائفة من القيود المنسوبة لتلك الأزمنة القديمة لم تنفذ إلا فى العصور المتأخرة التى كان نسب إليها التعصب الدينى .

وكما أن المسلمين استرشدوا فى أتباع دينهم بروح التسامح كان حتما عليهم ايضا فيما يتعلق بمعاملتهم لغيرهم فى المسائل المدنية والإقتصادية أن يعاملوهم بالرفق والإنصاف فكان كل ظلم يقع على غير المسلمين الخاضعين للحكم الإسلامى (أهل الذمة) يعتبر فى نظر المسلمين ذنباً يعاقب عليه . ومن أمثلة ذلك : أنه لما عامل والى لبنان الاهلين بالقوة حينما ثاروا بسبب ظلم محصل الضرائب ، أرسل إلى ذلك الوالى الإنذار التالى الذى نقل أنه حديث شريف عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو : « إن من ظلم ذميا خاضعا لحكم الإسلام وكلفه بما لا طاقة له به فإنى خصيمه يوم القيامة » (أو كما قال) .

وفى أيامنا هذه أيضا قد أطلعنا بالقرب من « بوسترا » على المكان الذى كانت مشيدة عليه « دار اليهودى » الذى روى عنه « بورتر » فى كتابه المعنون باسم « خمس سنين فى دمشق » القصة التالية :

إن فى هذا المكان كان بنى مسجد فأمر عمر بهدمه لأن عامله كان استولى على دار اليهودى قسرا ليبنى المسجد مكانها .

وإن تكوين الآراء القانونية الخاصة بعلاقات المسلمين الفاتحين مع الأمم المغلوبة كان لها المكان الأول فى وضع القوانين الجديدة ، ولكن كان لابد من جهة أخرى من تنظيم جميع أنواع الحياة الداخلية والدينية والشرعية للمسلمين .

وكان لابد من وضع قاعدة ثابتة للمحاربين الذين تشتتوا فى أنحاء البلاد قبل تحديد الشعائر الدينية نهائيا فى البلدان النائية التى يرتبط بعضها ببعض برابطة الدين ، وذلك لكى يستطيع أولئك المحاربون أداء جميع واجباتهم الدينية وإقامة جميع شعائرهم المتعلقة بها ، وكذلك كان لابد من اعطائهم قاعدة ثابتة — وهذا ما كان أشد صعوبة بكثير — لتحديد العلاقات القانونية التى بقى معظمها إلى ذلك الوقت مجهولا عند الفاتحين الذين نزحوا من بلاد العرب ، ففى سوريا ، ومصر ، والفرس ، كانوا يلجئون إلى استقصاء العادات القديمة المحلية المؤسسة على الحضارات الغابره ، وأحيانا إلى التوفيق بين القوانين الوراثية وبين القوانين المكتسبة حديثاً . وقصارى القول أنه كان لابد من تقييد المسلمين فى معاملاتهم الشرعية بنظام من الوجهة الدينية ومن الوجهة المدنية ، فكانوا يتوسلون بالتقاليد إلى حل المشاكل التى كانت تنشأ يومياً ، وفى الأحوال التى يختلف فيها الرأى كان يكفى فيها بلا شك حسن السياسة . وأخشى أن أقول كذلك . تعسف القضاة .

وهذا لم يكن ليرضى الأتقياء من الناس الذين كانوا يرمون إلى توجيه الحياة الجديدة نحو قانون شرعى لإرادة المولى (سبحانه وتعالى) ومتفق مع ميول النبى (صلى الله عليه وسلم) . فكان لابد فى كل الأمور من البحث عن إرادة الرسول (عليه السلام) راعينها كمبدأ يسترشد به فى الحياة العملية .

وإن أحسن مصدر يمكن أن يستق منه العلم كان الصحابة ، وهم جماعة من الناس عاشوا فى صحبة النبى (عليه السلام) ورأوه وسمعوه بحكم ،وعليه فإنه كلما كان المرء قريباً من صحابى كلما كان فى استطاعته أن يستخلص من أخباره مقتضيات الحياة الدينية وتفاصيل الشريعة الإلهية . ولما انقضى هذا العهد (عهد الصحابة) كان لابد من أن تقنع بالمعلومات التى أمكن الحصول عليها فى بعض المسائل التى كانت بالمعلومات تطرح على بساط البحث فى الأحوال

المختلفة - كان لابد أن تقنع فى هذه المسائل بالمعلومات التى تتلقاها (من التابعين) ممن جاءوا بعد الصحابة والذين كانوا اتصلوا بهم

وهكذا جيلا بعد جيل حتى إلى أقرب الأزمنة إلينا ، فكان يعتبر أى عمل من الأعمال أو حكم من الأحكام صحيحا وحلالا إذا أمكن اسناده إلى حديث صحيح متصل اتصالا مسلسلا غير منقطع بصحابى كان شاهدا أو سامعا له من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعبرا عن رأيه (عليه الصلاة والسلام) .

وإنه يمثل هذا الحديث الذى وضعت على أساسه تفاصيل المذهب والشريعة أمكن تدوين هذه التفاصيل بصفتها الأعمال التى اتبعها قادة الإسلام وأول معتنقيه على مرأى وبموافقة الرسول (عليه السلام) وهى السنة ، أو الأعمال التى اعتادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،وإن الشكل الذى تدونت عليه يسمى (الحديث) وليس الحديث عبارة عن مجموعة مبادىء متشابهة ، وإنما الحديث هو الوثيقة التى تضمنت السنة ، فهى تثبت بواسطة سلسلة من الرواة الثقات الذين يرون جيلا بعد جيل الرواية المرادة عما كان يعتبره الصحابة المبدأ الصحيح الوحيد فى مسائل الدين والشرع . مستندين فى ذلك إلى إقرار هذا المبدأ من الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذى يصبح بذلك القاعدة الواجب اتباعها فى الحياة العملية .

ولما كانت السنة هى عبارة عن مجمل عادات وآراء أقدم طائفة من المسلمين فإنها تعتبر أوفى تفسير للقرآن . وهناك مثال يبين ما للسنة من القيمة الكبيرة وهو ذلك القول المنسوب للامام على (رضى الله عنه) الذى قيل أنه وصية أسداها إلى عبد الله بن عباس عندما أرسله لمفاوضة العصاة ، إذ قال له فيه « لا تجابهم بالقرآن فإنه يحتمل تفاسيرات مختلفة من عدة وجوه . بل جابههم بالسنة فهى لا تترك لهم منفذا يخرجون منه » . ولا نبحث هنا عن صحة نسبة هذا

القول لعلى ، وإنما هو على أى حال قول معروف من قديم الزمن ويعبر عن حقيقة عقلية المسلمين فى ذلك الزمن .

هذا وإننا لا نريد أن ننكر كلية أنه لا يزال يوجد فى الأحاديث التى نقلها إلينا الأجيال اللاحقة بعض المواد القديمة التى إن لم تكن نقلت من نفس النبى (صلى الله عليه وسلم) فهى على الأقل منقولة عن الجيل الأول من زعماء الإسلام ولكن من جهة أخرى فمن السهل أن ندرك أنه كلما بعد المرء من حيث الزمان والمكان كلما كان يخشى الإنسان من أن يكون قد ضمف بعض الأسانيد على شكل أحاديث صحيحة تماما فى ظاهرها ، وترجع إلى أعظم مصادر الإسلام : إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) وإلى الصحابة ، وذلك لتعزيز بعض المبادىء من الوجهة النظرية أو التى يراد منها أن تتبع فى الحياة المادية .

وفعلا قد حدث على أثر ذلك أن كل رأى وكل فريق وكل ممثل لمذهب من المذاهب قد اتخذ هذه الطريقة ، وعلى ذلك قد وضع من القواعد ما كان منافيا بعضه البعض بسبب هذه الطريقة ، ولكن هذا لم يكن ليغرب عن يقظة المسلمين المتمسكين بدينهم ، وفقهائهم الذين هم أول من وضعوا قاعدة عملية من أقدم القواعد العلمية وأعمها فائدة ، وهى علم « نقد الحديث » الذى كان الغرض منه التمييز بين الحديث الصحيح والحديث المشكوك فيه عند احتدام الخلاف فكانت النتيجة النهائية لهذه الحركة النقدية هى الإعتراف فى القرن السابع عشر بأن المؤلفات الستة التى جمعها بعض الفقهاء منذ القرن الثالث عبارة عن مجموعة للقواعد الشرعية ، وقد اعبرت هذه الكتب بأنها المصدر الصحيح الأكيد لسنة الرسول (عليه السلام) ومن بين هذه المؤلفات يوجد اثنان رسميان (وسميا بهذا الإسم لأنه محظور رسميا المناقشة فيما اشتملا عليه) وهما البخارى (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) ومسلم (٢٦١ م / ٨٧٥ م) ويعتبر

من أعظم مصادر سنة النبي (عليه السلام) وألحق بها كتب أبي داود (٢٧٥هـ / ٨٨٨م) والنسائي (٣٠٣هـ / ٩١٥) والترمذي (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) وابن ماجه (٢٧٣هـ / ٨٨٦م).

ويحل هذا المكان الأخير مع بعض الإعتراض، وقبل ذلك كان مالك ابن أنس جمع عادات المدينة وطن السنة، إلا أن رأيه لم يتفق مع جامعي الحديث.

وبذلك قد ظهر بجانب القرآن مجموعة جديدة لمراجع الدين المكوية، وهي مراجع من أهم المراجع التي يرجع إليها في تفهم الإسلام والحياة الإسلامية.

«أسطورة داروين»

وأثرها في تضليل الجنس البشري

تسلم العلوم الثابتة الآن بأن العناصر المختلفة مكونة من مادة أولية واحدة، وهذا الفرض هو نواته — من حيث المبدأ — ما يقوله يوحنا المعمدان من أن كل الأشياء من صنع واحد وبدونه لما صنع شيء. ومما لاجدال فيه أن يوحنا قرأ كثيراً في الكتب الهنديه القديمة المعروفة باسم «كتب فيد المقدسة» كما اطلع عليها باستور المشهور وكوري وزوجته مكتشفي الراديوم ونشاط الراديو.

يسلم العلماء أيضاً بأن الكهرباء وجميع العناصر مكونة من عدد كبير من الإلكترونات الموجبة والسالبة. ولابد للإنسان أن يتمثل الثروة في كل شيء مجموعة شمسية مصغرة وغاية في الدقة، فإذا كانت الالكترونيات في غير حالة التوازن فإن تنسيقها يختلف وتقترب بسرعة فائقه بسبب الدوران السريع، في حين أن الوزن الذي يقبل فينشأ عن ذلك عنصر جديد.

والمفروض أن الالكترون مكون من الكهربائية أى من قوة ، وعلى ذلك فإن الذرة عبارة عن جزء صغير من القوة ، فتكون المادة مكونة من عدد كبير جدا من القوة الدقيقة ، بدأ تكون (أى الماده) فى حكم العدم ، ولكنها — وهى عبارة عن عدد كبير من جزئيات القوة تظهر أمامنا فى حالة الوجود ، وهذه حقيقة يجب وضعها محل الاعتبار والأخذ بها .

والعلوم الثابتة لما تحل بعد مشكلة الأثير أو الالكترونا ، ولقد جاء ذكر نظرية الأثير والالكترونيات من قديم الأزل ، فهى متصلة بوضوح فى كتب « فيدا الهندية » ولكن بأسماء أخرى ، وكذلك توصل « يعقوب بومه » العالم الروحانى المشهور بأبحاثه قديماً إلى كشف كثير من أسرار الطبيعة الغامضة .

ولقد دلت الكتب الهندية القديمة وكتاب الموتى المصرى على أنه كثيرا ما بحثت هذه المسائل . وعلى الأخص مسألة الخلق قديما فى هذه العصور ؛ فقد جاء فى كتاب (ريج فيدا) ما معناه : « من أين أتى العالم — هل نشأ أو لم ينشأ — لا يعلم ذلك إلا هو — الذى تطل علينا عينه من أعلى السماء — هو وحدة قادر على العلم بذلك — وهل يعلم ذلك ؟

ويغلب على الظن أن كتب « ريج فيدا » يرجع تاريخها إلى أربعة أو خمسة آلاف سنة ، وإلى الوقت الحاضر لم نتوصل بعلومنا وتجاربنا إلى تفسير مشكلة التطور تفسيرا يقربنا من الحقيقة بالرغم من ان آلاف العلماء يشتغلون بها .

ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن « فولتير » فيلسوف القرن الثامن عشر استمر منكرا وجود الإله فى الشطر الأكبر من حياته ، وكان له أثر كبير فى عصره ، فكان إذا أيد شيئا كان لحكمة له انتصار وفوز مبين ، وإذا نقد شيئا كان فى نقده القضاء عليه . وقد مثل على أثره مئات الألوف من

الناس وتزعزعت عقائدهم حتى أنكروا وجود الخالق . ولكنه رجع في أفكاره وارتد عن رأيه قبيل وفاته واعتقد في وجود سبب للعالم ؛ ودفن في الكنيسة رغما من إرادة الشعب إلا أن رفاته أخرج بعد ذلك بقليل من مرقده الأخير وألقى في جهة خربة . وهذا مثل واحد بين أمثال كثيرة يغير فيها العلماء آراءهم في النظريات العلمية أو العقائد الدينية .

وقلما شهد العالم ثورة فكرية كالتي أحدثها « كوبرنيكوس » عندما اكتشف أن الأرض هي التي تدور حول الشمس أوليست الشمس هي الدائرة كما كان الاعتقاد قديما . فعندما تبينت الجهات الدينية أن الحق في جانب « كوبرنيكوس » رجعت عن الفكرة القديمة الزائلة واعتنقت الفكرة الجديدة .

ولكن المبادىء التي نشرها داروين في نظريته الموهومة عن نشأة الأجناس — ولو أن صاحبها لم يعززها بالبراهين الكافية — قد أثارت عاصفة كبيرة حولها ، وأحدثت اضطرابا فكريا بين الناس أجمعين وتزعزعت بسببها عقائد الكثيرين ، ولا يمكننا أن نتكهن بمقدار الخسائر الأدبية والشقاء الذي لحق بالإنسانية على اختلاف نحلها من جراء أفكار داروين .

لم يجد داروين لنظريته أي برهان يقبله العقل البشري السليم ، ولو أنه وجد في الناس من أعاروه أذنا صاغية . لم يجد ما يقر بهذه النظرية التعسة التي جاء بها لتفسير نشأة الأجناس وتطورها — اللهم إلا الحجة الواهية القائمة على فساد ماذهب إليه ، وهي أنه نجح في المزاوجة بين أوزة أوربية وبين أوزة صينية .

هذا كل ما أفلح فيه صاحب اسطورة نشأة الأجناس للإستدلال على صحة ارائه . إنه لم يصل بأبحاثه مثلا إلى نشأة نوع جديد بطريق التطور

كما كان يجب أن يكون ، حتى تكون الدعامة التى يبنى عليها نظرية ثابتة سليمة الأساس . لكن أنصاره يرددون بكثرة ذكر البراهين الثابتة والحجج القاطعةالتى قدمها داروين تأييدا لما جاء بنظريته ، ولكننا إذا بحثنا هذه الدعاوى والبراهين لم نجد أنهم ظفروا بشىء مما يؤيد كلامهم وإدعاءاتهم من أى وجه من الوجوه — اللهم إلا تغيير طفيف طرأ على النسل دون أن يمس الأصل فى جوهره بشىء . هذا إلى التزاوج بين الأوزتين المختلفتين لم يأت بطريق التطوع والاختيار ، بل إنهما اضطرا إلى ذلك اضطرارا ، ومع ذلك فإنهما لم ينتجا نوع جديدا ، بل لم تتعد التغيرات الحادثة الفوارق العادية فى داخل حدود أى فصيلة من فصائل الحيوانات الراقية .

وإننا لو أطلنا البحث فى كل ما جاء به داروين من البراهين والإثباتات العملية ، لوجدنا أنه لم يذكر سوى أمور تستند على حقيقة معروفةمنذ القدم وهى أن لكل أنواع النباتات الراقية وفصائل الحيوانات الراقية استعدادا طبيعيا لأن يحدث فيها تغيرات فى الشكل فقط ، دون أن يمسها التغيير فى جوهرها ، وأن الإنسان يمكنه بطريق التلاقح والمزاوجة المختلطة أن يحدث مثل هذه التغيرات فى أنواع النباتات وفصائل الحيوانات الراقية . وهذا ما هو مسلم به من قديم الزمان وليس بالشىء الجديد ؛ وما من أحد يشك فى أنه من مصلحة الجنس البشرى أن يكون هناك درجات مختلفة فى كل نوع من أنواع النبات أو فصائل الحيوان . إذ مما لا يختلف فيه اثنان أن تعود أصناف النوع الواحد من النبات أو الحيوان ضرورى بسبب تعدد أذواق الناس ومشاربهم ؛ ولولا هذه الإختلافات لكان بنو ادم — إذا استثنينا المرضى طبعا الذين هم فى سن واحد ومن جنس واحد — متشابهين تمام الشبه من جميع الوجوه . وهذا ما قد لا يرضى الكثير من الناس .

يتضح مما سبق أنه كان الأجدر بعلماء الطبيعة المهتمين بالبحث على أصل

الإنسان وأطوار نشأته أن لا تضلهم مثل هذه التغيرات التى تطرأ على كل الحيوانات والنباتات الراقية .

ويعيش بين ظهرانينا الآن عالم هولندى ذو شهرة عالمية كبيرة فى علم النبات اسمه « هوجودى فريز » ، وهو يعد من بين أنصار نظرية التطور والنشوء أكبر أعلامها بعد داروين ولامارك وهيكل ، ولهذا السبب فإنى أود أن لا يفوتنى مناقشة آرائه فى هذه الحالة على وجه خاص ، خصوصاً وأنه كان له تأثير فى اعتقاد الكثير فى صحة هذه النظرية واعتناقها مذهباً ، إذ قيل إنه توصل بعلمه وأبحاثه إلى إيجاد نوع عضوى جديد لم يكن له من قبل وجود فى عالم السيئات بواسطة التغيير المتواصل . وهذا فى اعتقادى هو أكبر دليل وأصدق شاهد على أن هؤلاء العلماء الأنصار إنما كانوا ولا يزالون دائبين فى البحث عن برهان حسى لإقامة صروح دعواهم ، وبذا تسقط حجج من سبقهم ممن أدعو ثبوت النظرية قطعا . وعندما نشر «دى فريز» دعواه وماوصل إليه من الأبحاث أخذها عنه العلماء الآخرون بدون مناقشة أو تمحيض ، وهكذا كان ينقلها أحدهم عن الآخر ولا يتحقق صحة الدعوى من فسادها ، وهل يمكن اعتبار الزهرة المسماه « أينوتيرا لاماركيانا » وهى نتيجة التجارب العلمية التى قام بها الأستاذ « دى فريز » نوعا جديداً فى عالم النبات ؟

وهكذا تناقلت الألسن وأفاضت الجرائد والمجلات فى ذكر النجاح الباهر فى إقامة الدليل المادى على صحة نظرية داروين ، وأن الإنسان سليل القردة ، وأن لا وجود للخالق . ومثل هذه الأضاليل التافهه والدعاوى الفاسدة .

هذا ، مع أنه قامت فى وجه هؤلاء المهرجين اعتراضات جدية لا يدخلها الشك من أى وجه فى أن هذه الزهرة ليست وليدة جديدة أو

مستحدثا لا سابق له ، وثبت ذلك لكل من « باور » و « باتيسون » وغيرهما من أساطين علم الحياة ، كما ظهر أن النتيجة التى وصل إليها « دى فريز » لم يقدم العلم خطوة واحدة فى سبيل كشف أصل الإنسان وأطوار نشأته .

قامت تجارب « دى فريز » على زهرة خاصة وهى «أبوتوترالامارکیانا» فى حين أنه كان يمكنه أن يصل إلى مثل هذه النتيجة لو أنه اتخذ نوعا آخر من مئات أنواع الزهور المختلفة ، كما كان يستطيع أن يكتب على التغيرات المختلفة التى تطرأ على كل منها مجلدات ضخمة مثل كتابه عن الزهرة المذكورة .

وكل صبى صغير مشتغل بزراعة الحدائق يتبين أن كثيراً من زهور الحدائق مثل السنبل والسوسن والزعفران والورد والبطاطس التى تتكاثر بواسطة الايصال والاقنان والفروع دون تلاقح جنسى — تبقى ثابتة لا تتغير ، ولكنها لا تصلح للبذر ، وهذا ما يثبت عدم تفاوتها التى نشأت عن خلط مولدها مئات السنين تلو مئات السنين ، فلماذا لا تكون زهرة « أبونوترالامارکیانا » سائرة على هذه القاعدة دون أن تستثنى من تأثر أمثالها ،

يتضح من ذلك أن هذه العقيدة إنما بنيت على التخمينات الواهية المجردة من كل الإثباتات التى يقبلها العقل السليم بدون تحيز أو هو فى النفس .

بلغ « هوجودى فريز » الآن من العمر ٨٠ عاما ويؤلمنى كثيراً أن يصادف كتابة مثل هذا النقد الشديد بعد أن قضى المؤلف بين أعماله المفيدة وأبحاثه المثمرة حياة زهرة ، وهو عالم ذو شهرة واسعة وصيت ذائع ، وله أياد بيضاء على علم النبات الحديث وهو المؤلف العبقرى ومعيد مجد قوانين الوراثة الأستاذ « مندل » فهذا الرجل العالم الكبير فى النبات هو أيضا صاحب نظرية التغيير ، وما كنت لاجرؤ على نقد هذا الرجل العظيم لو أنه

بقى فى اختصاصه واقتصر على علمه وبحثه ، ولـكنه تعدى ذلك إلى مذهب التطور ، الذى لا يعلم عنه مخلوق أى شىء إيجابى .

سبق لنـا الإشارة إلى أن « فولتير » الـكاتب الفيلسوف الفرنسى الـكبير الذى قضى الشطر الأول من حياته ملحداً ، عاد إلى عقيدته الدينية قبيل وفاته ، وإننا نرجو من كل أفئدتنا أن يتخذه عالمنا الهولندى أسوة حسنة ويهتدى إلى الصراط المستقيم .

إنى لا أميل إلى تـكرار الإيضاح ، ولـكنى لا يسعنى فى هذا البحث إلا أن أعيد أن أنصار مذهب التطور فى عالم الأحياء لم يسعدهم طالعهم بالإهتداء إلى براهين معقولة لإقامة دعواهم وأن كل نظرياتهم كانت خاطئة وظهر فسادها من كل الوجوه وفى كل اونه .

كما ظهر من علم الحفريات أن النتائج التى وصل إليها الباحثون فى الأحياء المتحجرة لم تساعد على إقامة اى دليل على التسلسل او التطور التدريجى ، بل ثبت على عكس ذلك ان القرون الدقيقة بين صفوف الأجناس التى تعرفها بقيت على الدوام فاغرة ولم تتلاش او تقرب من ذلك ، ولا يمكن ان نعد ذلك راجعا إلى نقص فى المجموعات المتحجرة التى وصلت إلينا او بقايا الهياكل التى إهتـدينا إلى تركيبها ، بل ظهر بكل وضـوح ان كل عضو من مجموعة الأجناس المختلفة مستقل استقلالا تاما عن الآخر ولا يمثل بأى حال من الأحوال حلقة من سلسلة تامة الحلقات ، او طوراً من اطوار التدرج المزعوم .

توصل العالم إلى معرفة آلاف من انواع النبات والحيوان المختلفة البائدة ، ولـكن لم يستطيع احـد من علمائنا ان يكشف لنـا عن نوع واحد مستحدث .

وليس من المنطق فى شىء ان نفرض — طالما لم يقم الدليل المحسوس

ولا ينتظر ان ينهض ان نوعا من انواع القردة يمكن ان يتطور ويتدرج الى ان ينقلب راسا على عقب ليصير نوعا آخر ماراً بسلسلة يمكن تتبع حلقاتها الواحدة بعد الأخرى ، بل إن المنطق السليم يحتم علينا فرض وجود إله قادر على كل شيء هو الخالق للنبات والحيوان والإنسان وان الأجدر بالإنسان ان لا يجهد نفسه كثيرا فى محاولة الوصول الى معرفة خلق الإنسان إذ أن الصانع وحده هو الذى يعرف حقيقة ما صنع ، واما المصنوع فلا يصل ولن يصل إلى إدراك كيفية وجوده وخلقه .

خير ما نختم به هذا الكتاب هذه القصة وهى من القصص اللطيفة التى تصور الوسيلة إلى المشاهدة فى سهولة ويسر — قال ذو النون :

رايت إمراة ببعض سواحل الشام .

فقلت لها :

من اين اقبلت رحمك الله ؟

قالت :

من عند اقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا

قلت :

واين تريدين ؟

قالت :

الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

قلت :

صفيهم لى فأنشأت تقول :

قوم همومهم بالله قد علقت   فما لهم همم تسمو الى احد

فطلب القوم مولاهم وسيدهم   يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف   من المطاعم واللذات والولد
ولا لبس ثياب فائق انق   ولا لروح سرور حل فى بلد
إلا مسارعة فى إثر منزلة   قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران واودية   وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد

والمشاهدة هى الغاية « للصوفية » هى ايضا تحقيق واقعى للتعبير الذى تنطق به فى كل آونة حينما نقول :

(أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله)

وانقشع الظلام

يارب

فى الظلام الدامس والظلم الداكن والطغيان الجارف الذى عشنا فيه سنين طويلة هذا الظلام الذى سيطرت فيه قوى الشرك والإلحاد والتى حاولت فيه بطرق كثيرة أن تبعدنا عن طريقك طريق الحق والنور والصواب فى هذا الجو كان حقاً على المؤمنين أن يهربوا بدينهم حتى تنقشع الظلمة . . . وهنا اعتزلت العمل العام مكتفياً بما أستطيع أن أقدمه لديني ولوطني وللأمة الإسلامية فى صمت وفى هدوء ... ومن خلال عمل تجارى متواضع أستطعت أن أعيش وأن أنشىء أولادى تنشئة صالحة عسى أن يكملوا المسيرة . . . المسيرة نحو حياة أفضل .

هكذا ظللت نيف وثلاثين عاما عشتهم فى صومعتى التجارية فى حرية وهدوء وعمل وأمان . . ولكن اليوم وبعد أن انقشع الظلام أو كاد رأيت من واجبى أن أخرج عن عزلتى لأسهم مع المجاهدين من أخوانى الذين تحملوا العذاب وقدموا ضريبة الدم وجادوا بأنفسهم قربانا لعزة دينهم ونصرة وطنهم وإحلال الشريعة الإسلامية محل الشرائع المستوردة والتى كانت سببا من أسباب الهزيمة والمرارة التى عشناها .

ها أنذا يارب أعود إلى النور لأحتل مكانى فى جيش الخلاص المحمدى . مؤدياً واجبى بهذا المجهود المتواضع بإصدار كتابى هذا الذى أعلن فيه الجهاد ضد الأفكار الهدامة التى تنخر فى عظام المجتمع الإسلامى عسى أن تتقبل منى ، راجياً يارب منك التوفيق وأن تمنحنى القدرة على الاستمرار حتى ألقاك على خير .

ولك العزة ولرسولك وللمؤمنين ؟

حمدى الجريسى

رقم الإيداع ٤٠٣٠ / ١٩٧٦

الترقيم الدولى ٠ — ٠٧ — ٦٧ — ٧ — ٩٧٧ — ISBN

دار التراث العربى للطباعة ت : ٩٣٦١٤٥

هذا الكتاب

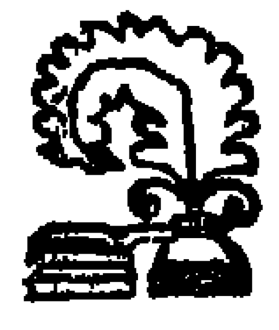
نور ونار ....

- نور يستضىء به العاملين بكتاب الله وسنة رسوله
- ونار يصلى بها الخارجين عن الدين البعيدين عن الفضيلة والخلق الكريم
- نور يهدى للتى هى أقوم ويزهق الباطل حيثما كان
- ونار تحرق الداعين الى الكفر والالحاد والخارجين عن الدين
- نور كشف عن اباطيل الداعين الى حزب الشيطان
- ونار ينطاير شررها فتصيب كل معتد أثيم ختال
- نور يضىء طريق المجاهدين الذين يقدمون أرواحهم رخيصة لنصرة الاسلام
- ونار تأتى على الباطل فتبيده وتحيله الى تراب ورماد

« ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون »

أقرأ فى هذا الكتاب

- اركان الاسلام الخمس والشيوعية ، الاسلام دين العزة والكرامة ، الاسلام دين ودولة ، لا فاشية ولا نازية ولكنها المنظم الاسلامية ، أن الدين عند الله الاسلام ، الصيام وصلاة القيام فى نظر الطب الحديث ، ليس فى رسالة محمد شك ، لماذا اعتنقت الاسلام ....
- بأقلام غير المسلمين من العلماء والمفكرين والمستشرقين هذا الكتاب عبارة عن دائرة معارف اسلامية مختصرة ، احرص على اقتنائه فهو خير ما تقدم من زاد لابناءك واحفادك



دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان المشهد الحسينى ت ٩٣٦١٤٥

الثمن ٥٠ ص